370.1; M39tA

مشنوق - عبدالله

التعاون الثقافي بين الاقطار العربية

APR 19 7:93

370.1
M39tA

AP 19
AG 10

MY 9 '57
JN 19 '57

- Feb 66

JAFET LIB.
- 9 MAY 1991

JAFET LIB.
8 APR 1991

909.04997
M397tA

عبد الله مشنوق

التعاون الثقافي

بين الأقطار العربية

كيف افهمه وانجع الوسائل لتحقيقه

59534

منشورات

مكتبة الكشاف ومطبعتها
شارع المعرض - بيروت

Cap. Soc. 1945

طبع من هذا الكتاب الف نسخة على ورق عادي
وعشرون نسخة على ورق « وودفري »
مرقمة من ١ الى ٢٠ خاصة بالمؤلف

الطبعة الاولى ١٩٤٥

جميع الحقوق محفوظة

الاهداء

الى المعلم العربي ،
حجر الزاوية في بـــناء
جامعـــة الدول العربية

المؤلف

فهرس

٣ الاهداء

٥ مقدمة

١٠ بين التعاون والتوحيد

١٨ الطغيان الثقافي

٢٠ ليس التعاون بدعة
المعاهد الثقافية المصرية العراقية

٢٥ التعاون اداة تقدم

٢٩ الشعوب العربية المتعاونة
موقف التعاون من الغرب

٣٢ ميادين التعاون الثقافي

٣٥ المناهج

٤٧ تحضير المعلمين

٥٤ الكتاب

٦٢ تنظيم المعادلات بين الشهادات

٦٧ البعثات العلمية

٧٤ تبادل الاساتذة

٧٩ المجامع اللغوية والعلمية

٨٨ المدارس والجامعات

٩٤ المكتبات العامة

٩٦ التأليف والترجمة والنشر

١٠٣ ملحق رقم ١
برونوكول الاسكندرية

١٠٨ ملحق رقم ٢
قانون المعارف السوري

مقدمة

لست ادري ما اذا كنت مغرقاً في الخيال عندما اشبه علاقات الدول العربية بعضها ببعض بتلك الجاذبية الطبيعية التي تربط الرجل بالمرأة وتجعل منهما كياناً واحداً يتبادلان فيه الخدمة والمنفعة ، فقد هبطا من الفردوس المفقود ليتعاونا ويبنيا الاسرة ويعمرا الارض ، ولولا تعاونهما لما كانت حضارة ولا عمران ولا رقي . ومن البديهي ان اتصال الرجل بالمرأة — كما يقول الخبراء — يتم على درجات فيبدأ بالتعارف فالألفة فالصداقة ، فالحب ، فالاتحاد (الزواج) فالوحدة (وهي مرتبة الفناء في الحب ، ويعتبرها المتصوفون اسمى درجات الاتصال الروحي) .

وكذلك الشعوب العربية الشقيقة فان بينها جاذبية طبيعية ، قوامها اروعة واحدة ولغة واحدة وتاريخ مجيد مشترك واحد ، ودعامتها مصالح واهداف وطنية واقتصادية واحدة مشتركة ، فهي تشعر اليوم اكثر من اي وقت آخر ، بعد ان نالت نصيبها من الوعي القومي ومن الاستقلال النسبي ، أنها بحاجة ماسة ملحة الى التكتل للمحافظة على كيانها الذي تعصف به التيارات المختلفة اولاً ، ولرفع مستواها بين امم الارض في شتى نواحي الحضارة والعمران ثانياً واخيراً .

وعندي ان هذا الاتصال بين الاقطار العربية لا يمكن ان يتم الا على

درجات أو مراحل : الصداقة المتينة فالتحالف فالحلف فالاتحاد فالوحدة ، وكل خطوة منها ممهدة للاخرى او حائلة دونها . ويتوقف الانتقال من الواحدة الى الثانية على مدى النجاح في الخطوة السابقة . ولعل ابدع ما في هذا الاتصال انه — كالحب — طوعي لا اكراه فيه ، واذا لم يكن كذلك فان الفشل محتم لا ريب فيه . ولعل امتن انواع الاتصال هو ذلك الذي يجتاز بنجاح الاطوار جميعها ، وما عدا ذلك فهو اتصال قسري لا قيمة ولا بقاء له ، تخلقه ظروف ومناسبات خاصة يزول بزوالها . وأراني في غنى عن القول بان الاتصال الذي يقف عند الطور الاول ضعيف لا يؤتي الثمار المنتظرة ولا يحقق الآمال البعيدة المرجوة ، كما ان الطور الاخير — اذا كان تحقيقه ممكناً من الناحية العملية — يجعل من الشعوب العربية امة ، لها مكانتها ، ولها وزنها بين امم العالم .

وغنى عن البيان ، ان القائمين على مشاورات الوحدة العربية ادركوا ذلك كله ، وكانوا على جانب عظيم من الحكمة اذ بدأوا بمرحلة المشاورات الفردية بين مصر من جهة وكل من سائر الدول العربية من جهة ثانية ، فكان هذا الدور استمزاجاً للفكرة بصورة عامة ، فلما أنست مصر من اخواتها رغبة طوعية لا اكراه فيها للمساهمة في المشروع ، دعت الى مؤتمر اللجنة التحضيرية للوحدة العربية الذي عقد في الاسكندرية في أواخر الصيف المنصرم ، والذي انبثق عنه بروتوكول الاسكندرية[1] هذه الوثيقة اللبقة الموفقة في اختيارها كلمة مؤتمر الجامعة العربية بدل الوحدة ؛ فالجامعة — على الرغم من قوتها — ليست وحدة ولا اتحاداً ولا حلفاً بالمعنى الصحيح ، ولكنها تدل خير دلالة على الاتجاه الراهن بين الاقطار العربية ، فالذين يخافون الوحدة والذين يريدونها كاملة ،

---

(١) راجع النص الرسمي الكامل للبروتوكول في آخر الكتاب .

راضون عن هـذه التسمية التي لا يوضحها الا الزمن والتجربة ، ويا لها من عاملين فعالين في تحقيق المشاريع الكبرى !

وعن بروتوكول الاسكندرية انبثقت اللجان الفرعية في شتى نواحي الحياة العامة ، التي تجتمع في هـذا الشهر القاهرة تمهيداً لعقد مؤتمر الجامعة العربية .

واذا كان لنا ان نسجل لمؤتمر الاسكندرية حسنة خاصة بالاضافة الى حسناته الجمة ، حسنة قد تفوق في نظرنا اهتمامه بقضية فلسطين وجعلها قضيته الكبرى ، واعترافه باستقلال لبنان بشكل موفق وضع حداً قاطعاً لمختلف الشائعات والاقاويل ، فهي ان العالم العربي سمع لاول مرة بلسان المغفور له سليم بك تقلا وزير خارجية لبنان المسؤول في خطابه الرسمي وقت افتتاح المؤتمر « ان لبنان ابن العروبة البار » فقضى معاليه بهذا التصريح الرسمي على ما يروجه بعضهم عن لبنان وفي لبنان وخارجه بانه فينيقي او لبناني صرف لا يمت الى العروبة بصلة ، وختمت المهزلة الفينيقية او اذا شئت فسمّها المهزلة الشعوبية الحديثة ، وبدا لبنان بوجهه الصحيح ، لبنان اليازجي والبستاني والشدياق والاحدب والاسير ، لبنان الاهرام والمقتطف والهلال ، لبنان الذي ساهم في النهضة العربية الحديثة مساهمة نعتز بها ، لبنان العربي البار بعروبته ينضم الى اخوانه ابناء العروبة البررة ، لا لبنان عشتروت وقدموس ينضم الى مصر فرعون وعراق بابل وآشور وحمورابي ونبوختنصر وبقية السلالات المنقرضة ...

*

نعود الى بروتوكول الاسكندرية فهو الوثيقة التاريخية الوحيدة التي نشرت عقب ختام مشاورات الوحدة العربية واجتماعات اللجنة التحضيرية وهو يتضمن

ما تبلورت عنه هذه المحادثات والجلسات من مبادىء عامة تعتبر الاسس الاولى لمشروع جامعة الدول العربية . وليس يعنينا منه في هذا الكتاب ما يحتويه من تعاون في الحقل السياسي على الرغم من اهميته ، وانما يهمنا ان نتناول الناحية الثقافية خاصة فقد نصت المادة الثانية من البروتوكول على ان :

« تتعاون الدول العربية الممثلة في اللجنة تعاوناً وثيقاً في الشؤون الآتية :

١ — الشؤون الاقتصادية والمالية بما في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وامور الزراعة والصناعة .

٢ — شؤون المواصلات بما في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

٣ — شؤون الثقافة .

٤ — شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين وما الى ذلك .

٥ — الشؤون الاجتماعية .

٦ — الشوون الصحية .

(ب) تؤلف لجنة فرعية من الخبراء لكل طائفة من هذه الشؤون تمثل فيها الحكومات المشتركة في اللجنة التحضيرية وتكون مهمتها اعداد مشروع بقواعد التعاون في الشؤون المذكورة ومداه واداته .

(ج) تؤلف لجنة للتنسيق والتحرير تكون مهمتها مراقبة عمل اللجان الفرعية الاخرى وتنسيق ما يتم من اعمالها اولا فاولا وصياغة مشروعات اتفاقات وعرضها على الحكومات المختلفة .

(د) عندما تنتهي جميع اللجان الفرعية من اعمالها تجتمع اللجنة

التحضيرية وتعرض عليها نتائج بحث هذه اللجان تمهيداً لعقد المؤتمر العربي العام » .

*

وتجتمع في أواخر هذا الشهر اللجان الفرعية الثقافية ويشترك فيها مندوبون عن مصر والعراق وسوريا ولبنان وشرق الاردن وفلسطين والمملكة العربية السعودية واليمن ، وهذه أول مرة في التاريخ العربي يجتمع فيها الخبراء والاخصائيون من مختلف الاقطار العربية على صعيد واحد وفي جو طليق من كل قيد ، ليبحثوا مشاكلهم الثقافية وليضعوا الاسس الصالحة للتعاون الثقافي فيما بينهم ، فرأيت ان اكتب خصيصاً لهذه المناسبة السعيدة هذه الفصول عن التعاون الثقافي ، كيف افهمه ، وما هي انجع الوسائل لتحقيقه ، وما هي النواحي التي ينبغي له ان يشملها ، وان اقدم كتيبي هذا هدية الى رسل العروبة الرواد في اول مؤتمر ثقافي عام ، من عربي آمن منذ نعومة اظفاره بالوطن العربي الكبير ، ومنّ عليه الله بان يرى بعض هذا الحلم الجميل حقيقة واقعة — بعد ان كان فيما مضى أضحوكة في بعض الاندية والمجالس !

مع اطيب التمنيات ! .

بين التعاون والتوحيد

لسنا في حاجة الى تعريف لفظتي التعاون والتوحيد فهما واضحتان غاية الوضوح ، وبديهي ان الثانية اعم واشمل من الاولى ، وان التعاون قد يؤدي اذا قضت المصلحة المشتركة الى التوحيد او الى ما يقرب منه . وغايتنا في هذا الفصل ان نرى ما اذا كان في صالح العرب من الوجهة العلمية البحتة ان تقوم العلاقات الثقافية بينهم على اساس التوحيد أو التعاون او بين بين ، ونحن اذ نتكلم عن الشعوب العربية نعتبر انها بمجموعها تؤلف امة واحدة كالامة الاميركية او البريطانية او الفرنسية .

وتمهيداً لبحثنا هذا نذكر ان امم الغرب انقسمت في هذه الناحية الى ثلاثة اقسام : قسم أخذ بمبدأ التوحيد المطلق وقسم أخذ بمبدأ التعاون الحر وقسم آخر حاول التوفيق بين المبدأين ، فالامم اللاتينية بوجه عام والجرمانية اخذت بمبدأ التوحيد التام ، بينما أخذت الولايات المتحدة الاميركية بمبدأ التعاون الحر وتركت لكل من ولاياتها الثماني والاربعين الحرية الكاملة في تنظيم شؤونها الثقافية الا في بعض القضايا الرئيسية النادرة والمتعلقة بالاهداف الوطنية ، واما بريطانيا العظمى فهي تحاول التوفيق بين الفكرتين وتبدو هذه النزعة قوية في الكتاب الابيض الاخير الذي اصدرته الحكومة البريطانية عن تنظيم التربية بعد الحرب .

وحجة المتمسكين بمبدأ التوحيد المطلق انه يقضي على الفوضى التي تنشأ

عن مبدأ الحرية الواسعة ويصبغ ابناء الوطن بصبغة وطنية واحدة ويشدهم باواصر متينة ويطبعهم بطابع ثقافي واحد . ويعتمد هذا التوحيد التام على مبدأ المركزية الى حد بعيد .

واما انصار التعاون الحر فيرون ان التربية ما تزال في طور التجربة والاختبار وان التوحيد وما قد يتبعه من مركزية ، يجعل شؤون الثقافة آلية ميكانيكية ، ويحول دون التجدد والتطور ، ويقتل عامل الابتكار ، فيصبح جهاز التعليم اشبه شيء بمصنع كبير للماكينات ينتج كل عام بالجملة مئات الالوف من طراز واحد من السيارات . ويقول انصار هذا المبدأ ان الاغراق في التوحيد والمركزية يقضي في كثير من الاحيان على شخصية الفرد . وعلى كل فهذه اعتراضات لها قوتها ولها ضعفها وليست من القوة أو الضعف بحيث يصح الحكم عليها حكماً جازماً . وعندما يصف الاميركيون نظام التعليم الموحد المركز في فرنسا يستشهدون بقصة ذلك الصحافي الاميركي الذي سأل يوماً احد وزراء المعارف الفرنسيين عن توحيد التعليم في فرنسا فأخرج الوزير ساعته من جيبه قائلا : « الان الساعة التاسعة ، ان كل تلميذ في السنة الثانية الابتدائية في فرنسا من اقصاها الى اقصاها ، يتعلم جدول الضرب بـ ٧ في الصفحة ٣٥ من الكتاب ! ... »

واما الفئة الثالثة فقد ادركت مساوىء التطرف في كل من المبدأين ورأت ان تنهج نهجاً وسطاً فتوحد شؤون الثقافة في الخطوط الرئيسية الكبرى المتعلقة بالاهداف والاتجاهات العامة وتترك الفروع يتصرف فيها القائمون على الثقافة كما يشأون بشكل لا يكبت فيه الابتكار والشخصية الفردية ويفسح فيه المجال للتنويع والتجربة وما يرافقهما من تطور في مختلف النواحي الثقافية . وعلى هذه الطريقة درجت بريطانيا العظمى قبل الحرب وهي تنوي

تعزيزها في تنظيم الشؤون الثقافية عقب انتهاء الحرب . وعلى سبيل المثال نذكر ان مستوى الماتريكيولاشن او البكالوريا الانكليزية (الشهادة الثانوية) موحد في انكلترا ولكن تنظيم المعاهد الثانوية وبرامجها حر لا تسيطر عليه الدولة . وكذلك الجامعات البريطانية فهي مستقلة تماماً الواحدة عن الاخرى وليس للدولة اشراف عليها ولكنها جميعها تتطلب « الماتريكيولاشن » كأساس للالتحاق بها .

رأي العلامة ساطع الحصري

لقد عالج المربي الكبير العلامة ساطع الحصري هذه الناحية في كتابه « تقارير عن حالة المعارف في سورية واقتراحات لاصلاحها » فوقف الفصل الاخير على توثيق الصلات بين سورية والبلاد العربية الاخرى (ص ٢٨٧ — ٣٠٤) وبحث فيه قضيتي التعاون والتوحيد بحثاً ضافياً قيما ذهب في نهايته الى ضرورة تكوين ثقافة عربية موحدة او وحدة ثقافية عربية ، وحمل على المعارضين افكرته هذه حملة شعواء فقال :

« كثيرا ما لاحظت ان البعض يفهمون « الثقافة الموحدة » او « الوحدة الثقافية » على غير وجهها الصحيح ، والبعض يستغلون هذا الفهم السيء لمعارضة الفكرة معارضة صريحة . يقول هؤلاء : « ان الاقطار العربية يختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً من حيث الطبيعة والمناخ والاخلاق والعادات من جهة ، ومن حيث المستوى العلمي والاجتماعي من جهة اخرى ، فلا يمكن توحيد الثقافة بينها ... زد على ذلك ان محاولة توحيد الثقافة بين هذه الاقطار المختلفة تعني القضاء على خصوصيات كل واحد منها ، وتؤدي الى ارتداد ثقافة الاقطار الراقية الى درك ثقافة الاقطار المتأخرة وفي ذلك ما فيه من الاضرار الفادحة التي يجب تفاديها . »

اني اشبه اقوال هؤلاء بمدعيات من يقول : « ان العظام تختلف عن الاعصاب كثيراً ، واللحم لايشبه الدم أبدا ، والدماغ يختلف عن الامعاء اختلافاً كلياً : فهل يمكن تكوين وحدة من هذه الاشياء المتخالفة بعضها عن بعض كل هذا

الاختلاف ؟ واذا طلبنا توحيد هذه الاشياء المتخالفة ، ألا نكون قد طلبنا ازالة الفوارق القائمة بينها ، وحاولنا ارجاع الدماغ الى دركة الامعاء ، والدم الى دركة الشحم ؟ . . . » .

من البديهي أن امثال هذه المدعيات لا يمكن أن تقابل بغير السخرية والاستهزام لأن بدن الانسان دليل على سخافة هذه الملاحظات ، والوحدة المثالية التي تتجلى في هذا البدن تدل دلالة قاطعة على امكان تكوين وحدة من أشياء متنوعة .

ان الوحدة الثقافية التي تتوق الى تكوينها في الاقطار العربية ، لاتختلف كثيرا عن الوحدة الحياتية التي نشاهدها فعلا بين اعضاء البدن .

ان المشاهدة المباشرة تعلمنا أن تنوع الاعضاء والانسجة لا يحول دون وحدة الحياة في البدن . ولكن الابحاث العلمية تعلمنا أكثر من ذلك : انها تثبت لنا إن تنوع الاعضاء والانسجة من العوامل التي تزيد الروابط بينها ، وتقوي الوحدة في العضوية التي تتألف منها .

لقد اتفقت آراء علماء الطبيعة – منذ ابحاث « ميلن أدوارد » الشهير – على القول بأن رقي العضويات يتناسب مع تنوع الاعضاء والانسجة التي تكونها ، مع توزع الافاعيل الفسلجية الذي يرافق هذا التنوع . واما وحدة العضوية فتشتد بصورة متناسبة مع زيادة تنوع الاعضاء وتوزع الافاعيل : فالوحدة التي تشاهد في العضويات البسيطة – المؤلفة من اقسام واعضاء كثيرة التشابه وقليلة التنوع – تكون وحدة ضعيفة ، بحيث اذا جزئت العضوية الى اجزاء عديدة ، استطاع كل قسم منها ان يعيش مستقلا عن غيره . غير ان العضويات الراقية – المعقدة البناء المتنوعة الاعضاء – تكون وحدة قوية بحيث لاتستطيع اجزاؤها ان تعيش مستقلة عنها .

وقد لاحظ العلماء في ساحة الاجتماعيات ايضاً ، ما يشبه ذلك تماماً : اذ تبين من ابحاث الاجتماعي الشهير « اميل دوركهايم » ان تعقد البناء وتنوع الاعمال في المجتمعات ، مما يزيد التضامن بينها ويقوي الوحدة فيها .

اننا عندما نفكر في الوحدة الثقافية ، يجب ان نفكر في وحدة مثل الوحدة التي تشاهد في الابدان والمجتمعات ، والوحدة التي تتجلى في الاغاني والالحان .

وعلى ذكر الالحان ، ارى من المفيد ان أتوسع في هذا التشبيه ايضاً قليلا :

لو قال قائل : « ان الطبل يختلف عن البوق ، والمزمار لايشبه الكمان ،

والكمان يختلف عن البيان اختلافاً كبيرا ، فكيف يمكن تكوين وحدة من هذه الآلات المختلفة ؟ » لا شك ان كل الناس يجزأون به ويشفقون عليه ...

اني اعتقد ان الذين يعترضون على فكرة توحيد الثقافة - مستندين الى اختلاف الاقطار العربية بحجة وجوب المحافظة على خصوصيات هذه الاقطار لا يكونون اكثر سلامة في تفكيرهم واشد اصابة في مدعاهم من مثل هذا الشخص المفروض الذي لا يرى امكاناً لتوحيد الآلات الموسيقية بحجة اختلاف اشكالها واصواتها اختلافاً كبيرا.

ان الوحدة الثقافية التي نطلبها ، لا تختلف عن وحدة الالحان التي يطالب بها هواة الطرب وعشاق الموسيقى .

ان وحدة الثقافة لا تعني عينية التفكير في كل شيء بل انما تعني الوحدة في لون التفكير العام والتناسق في الاتجاه السائد فيه .

ان الثقافة الموحدة التي نصبو اليها ، لا تعني ازالة الفوارق الفكرية من بين الناس . اننا لا نحاول ازالة امثال هذه الفوارق حتى بين الافراد ، فضلا عن الجماعات . اننا لا نطلب ذلك ، ولا نقول بامكان ذلك ، ولا نرى لزوماً الى ذلك . وجل ما نرمي اليه في هذا الصدد هو ان تتناسق هذه الافكار والعواطف المختلفة والمتنوعة ، تناسقاً يولد وحدة معنوية سامية ، مثل الوحدة التي تتكون من ترافق وتلاحق عشرات الاصوات والانغام الصادرة من عشرات الآلات المتنوعة .

ومن المعلوم ان الموسيقى الغربية تمتاز عن الموسيقى الشرقية - في جملة ما تمتاز به عنها - بتنوع الآلات التي تشترك فيها - وكثرة الانغام التي تترافق وتتمازج خلال عزفها وترتيلها . ان كثرة العناصر المكونة وتنوعها لا يحول دون تكوين الوحدة الموسيقية المنشودة ، بل انما يساعد على تكوين وحدة مركبة تكسب الموسيقى سموا وجلالا .

ان وحدة الثقافة التي نصبو اليها ونطالب بها ، انما هي هذا النوع من الوحدة المركبة العالية التي تتولد من ترافق او تلاحق الاشياء المتنوعة المتخالفة ، لا الوحدة البسيطة العادية التي تكون فقيرة العناصر ، وقليلة التنوع ، وضئيلة القيمة ...

اننا نطلب وحدة عضوية ، وحدة تناسقية ، مثل وحدة الحياة في البدن ، ووحدة الانغام في الاوركسترا ، ولا نعني بذلك قط افراغ جميع العقول وجميع النفوس في قالب واحد ، كما يتوهم أو يوهم ذلك البعض ».

هذا رأي الاستاذ الحصري اثبتناه فهو يوضح تماماً وجهة نظر القائلين

بالوحدة الثقافية الكاملة ونعود فنتساءل ، ترى باية الفكرتين يأخذ رجال مؤتمر التعاون الثقافي العربي ؟ هل يأخذون بمبدأ التوحيد المطلق في اوسع حدوده ، ام يأخذون بمبدأ التعاون الحر ، ام ينتهجون خطة وسطى بين الفكرتين فيوحدون ما لا يستغنى عن توحيده ويتعاونون تعاوناً حراً فيما عدا ذلك ؟

لقد حددت مهمة المؤتمر الثقافي بالتعاون كما تنص المادة الثانية من البروتوكول فليس لنا اذن ان نطالب الآن بالتوحيد المطلق — على علاته او حسناته — وقد سبق لنا ان قلنا ان التعاون الموفق خطوة اكيدة نحو التوحيد ، فالرأي اذن ان نبدأ بالتعاون وان نحرص غاية الحرص على ان يكون هذا التعاون شاملاً جميع النواحي الثقافية وعلينا ان نهيء له جميع اسباب النجاح اذ ان الفشل في المرحلة الاولى قد يقضي على مشروع جامعة الدول العربية بكامله . وعلينا ايضاً ان نوحد الخطوط الرئيسية الكبرى المتعلقة باهدافنا المشتركة وان نتعاون تعاوناً حراً طليقاً من كل قيد في الشؤون التفصيلية والفرعية .

وهنا ارى من الضروري ان اوضح فكرتي هذه ببعض الامثلة عن الشؤون التي يتحتم فيها التوحيد وعن النواحي التي يتحتم فيها التعاون الحر :

نأخذ قضية رئيسية كالمناهج مثلا . اني لا أرى ان توحد مناهج الدراسة في الاقطار العربية توحيداً تاماً ولكنني احتم هذا التوحيد في تحديد مراحل الدراسة فتكون مدة الدراسة الابتدائية والثانوية والعليا واحدة في كل بلد من البلدان العربية ، فلا تكون الدراسة الابتدائية اربع سنوات في مصر وستاً في العراق وخمساً في سوريا ولبنان ! واحتم التوحيد في مستوى الشهادات الابتدائية والثانوية والعليا فلا يكون مستوى حامل البكالوريا المصرية مثلاً أدنى او ارفع من مستوى البكالوريا السورية . ولكنني اترك لكل قطر

عربي الحرية التامة في ان يثقف طلبة المدارس الابتدائية او الثانوية فيوزع مواد الدراسة على السنوات كما يشاء وينوع اساليب التدريس والكتب والوسائل كما يشاء ضمن الحدود المتفق عليها في الخطوط الكبرى ومستعيناً – وهنا يبدو التعاون واضحاً – بما توصلت اليه سائر الاقطار العربية من اختبارات وتجارب ناجحة .

وهذا مثال آخر اسوقه توضيحاً للفكرة : يجب ان يكون تدريس العلوم والفنون وسائر مواد الدراسة باللغة العربية في مرحلتي الدراسة الابتدائية والثانوية في جميع الاقطار العربية . هذا توحيد لا بد منه ، واما طريقة تدريس هذه العلوم وما يتفرع عنها فتترك حرة تتعاون فيها البلدان العربية .

ومثال ثالث واخير ، استمده من اهدافنا القومية المشتركة :

يجب العمل على التقريب ما بين الاقطار العربية والقضاء على الاقليمية البغيضة والطائفية الذميمة هذا امر متفق عليه ، ويجب توجيه النشء في كل قطر عربي الى مثل وطنية عليا واحدة ومشتركة وهذا امر متفق عليه ايضاً ؛ ولكن هذا وذاك لا يتمان الا على اساس منهاج موحد للتربية الوطنية ؛ والتاريخ – كما لا يخفى – يكوّن عنصراً فعالا من اهم عناصر هذا المنهاج .

لذلك يجب ان يتفق المؤتمرون على اسس موحدة لتدريس التاريخ فيتعرف كل مصري او عراقي او سوري او لبناني او فلسطيني او اردني او حجازي او يمني الى تاريخ بلاده القديم ، ولكنه يعرف ، قبل ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، انه جزء من الجسم العربي الكبير وان له تاريخاً عربياً مشتركاً حافلاً بالامجاد ، متصلاً بحاضره اتصالا وثيقاً لا انفصام له ، يوحد بينه وبين اخوانه العرب في كل صقع ، وانه عربي قبل ان يكون مسلماً

او مسيحياً ، ومتى عرف ذلك كله ونشأ عليه منـذ الصغر ، اصبح اكثر استعداداً لقبول فكرة جامعة الدول العربية التي اقرها بروتوكول الاسكندرية ووافقت عليها جميع الدول العربية المشتركة في التوقيع على هذا البروتوكول .

فالخطة المثلى اذن هي توحيد ما لا بد من توحيده والتعاون فيما عدا ذلك

ومهمة اللجنة التحضيرية الثقافية في القاهرة توضيح هـذه الخطة والباسها قالباً عملياً معقولا .

الطغيان الثقافي

لعل اوجه اعتراض سمعته في جدلي مع خصوم فكرة التعاون الثقافي بين الاقطار العربية قولهم انهم لا يريدون هذا التعاون طغياناً ثقافياً من قطر على قطر ، فذلك يجرح عزتهم وكرامتهم الثقافية والقومية ، وكنت دائماً اجيبهم : « اني معكم ، اكره الطغيان لفظاً ومعنى ، مادة وروحاً ، ايا كان مصدره ومهما يكن لونه او شكله ، واشجب فكرة الطغيان الثقافي ، ففيه غضاضة بمستوانا العلمي وجرح لعزتنا الثقافية ، وأرى فيه هدماً لفكرة التعاون العربي من اساسها »

انا متفق معهم في ذلك كله ، ولكن على شريطة ان نتفق اولا على ما يقصدونه بالطغيان الثقافي . فاذا كان ايفاد معلم او معلمة من قطر الى آخر طغيانا ، واذا كان ارسال بعثة من الطلبة من قطر للتخصص في قطر آخر طغيانا ايضاً ، فانا لا اتفق معهم لا في التسمية ولا في الروح بل اعتبر هذا التبادل لوناً رائعاً من الوان التعاون المنشود . واما اذا كان المقصود به سيطرة قطر على آخر بتدخل غير مشروع في شؤونه الثقافية ، او دعاية ضمنية لمشاريع ثقافية فيها مزاحمة غير مشروعة ، او فرض نظام ثقافي بصورة ضمنية من قطر على آخر ، فاني اعتبر هذا كله طغيانا وهو بعيد في روحه عن مبدأ التعاون الحر النزيه الذي ينشده المخلصون !

ان المرحلة الاولى من هذا التعاون دقيقة جداً ، يجب ان تعالج بكثير من الحكمة واللباقة والمرونة ، وان تراعى فيها مشاعر الدول المشتركة الى

اقصى حد ، وان تنسق في جو من التضحية والثقة المتبادلة ، فلا يبدو فيها اثر للسيطرة او التعسف ، فهذه اول مرة نجتمع فيها في التاريخ لتنظيم تعاوننا الثقافي ، وعيون العالم العربي والغربي شاخصة الينا ، وبينهم الناصح والشامت ، فلا ينبغي ان نكترث لبعض الصيحات الناعقة التي قد ترتفع في لبنان او مصر من جماعة لا هم لهم الا الدس على العروبة والعمل على بث التفرقة بين ابنائها بعامل الاقليمية الضيقة والغرور العلمي وعوامل اخرى . . .

افهم التعاون في النصح والارشاد والتوجيه النزيه ، افهم التعاون في تبادل المنافع فلا يكون هذا التعاون ذا وجهة سير واحدة ، بل يأخذ كل فريق خير ما عند الفريق الآخر ، الى ان يأتي الزمن الذي يستطيع فيه الفريق المساعَد الاستغناء عن هذه المساعدة بما يتسنى له تحقيقه بجهوده ومساعيه الخاصة . افهم التعاون وسيلة من وسائل التفاهم والتقارب وتوثيق القلوب ، ولا افهمه تنافراً وتناحراً واكتساحاً او طغيانا .

افهم التعاون — كما ينص البروتوكول — على قدم المساواة التامة ، فلا سيد ولا مسود ، ولا استاذ ولا تلميذ ، ولكن اخوان اشقاء ينظم كل منهم حجرته الخاصة مسترشداً بخبرة اخيه ورأيه ، وينظمون مجتمعين بيتهم العربي الكبير .

ليس التعاون بدعة

المعاهدة الثقافية المصرية العراقية

قد يخيل الى البعض ان فكرة التعاون الثقافي بين الاقطار العربية بدعة من بدع هذه الحرب ، أو ثوب جديد حاكته السياسة الدولية ليرتديه العرب في هذه الفترة الدقيقة التي يجتازها العالم والتي تنظم فيها شؤون السلم بعد الحرب ولكن الواقع يناقض ذلك تماماً ، فالتعاون بين الأقطار العربية قديم يرجع الى القرن التاسع عشر ، وان لنا في النهضة العربية العامة خلال هذا القرن لمظاهر رائعة عن هذا التعاون الذي كان يقوم به الافراد ، وكان لمصر وسوريا ولبنان سهم وافر فيه ، عندما كان ابناء بيروت امثال الاسير والانسي والمخزومي يطلبون العلم في كلية « قصر العيني » الطبية بالقاهرة ، وغيرهم في كلية القضاء الشرعي ، وعندما كان صروف ونمر وزيدان وتقلا واليازجي ينهضون بالصحافة المصرية ، بينما كان الامام محمد عبده يلقي محاضراته في « المدرسة السلطانية » في بيروت ويؤلف فيها « رسالة التوحيد » ويشرح مقامات البديع الهمذاني ويطبعها طبعاً انيقاً في مطبعة الآباء اليسوعيين ، وبينما كانت المطابع ودور النشر في مصر ولبنان وسوريا تتعاون وتوزع على الاقطار العربية نتاج الأدب الحديث وتحيي الكتب العربية القديمة وتنشرها بين الناس . ولو رحنا نذكر شواهد عن هذا الاتصال الثقافي بين الاقطار العربية لضاق بنا المجال ولكننا نكتفي بالاشارة دلالة على ان هذا التعاون قديم وعلى انه طبيعي شعرت به الشعوب

العربية قبل ان تتمخض الظروف الدولية عن مشاورات الوحدة العربية وعن بروتوكول الاسكندرية .

على ان هذا التعاون اخذ يرتدي شكلاً منظماً عقب الحرب الكبرى الماضية عندما استعانت الحكومة العراقية رسمياً بعدد كبير من الاساتذة السوريين واللبنانيين والمصريين ، واستعانت الحكومة العربية السعودية ببعثات من اساتذة مصر لتنظيم شؤونها الثقافية ، كما ان بعض المؤسسات العلمية في سوريا ولبنان اتفقت مع الحكومة المصرية على انتداب فريق من الاساتذة المصريين للتدريس في معاهدها وعلى قبول شهاداتها في الجامعة المصرية . ولم يقتصر هذا التعاون على تبادل الاساتذة ، بل تناول الطلبة ففتحت مصر الشقيقة المضيافة ابواب معاهدها العليا على مصاريعها لقبول بعثات الطلبة مجاناً من مختلف الاقطار العربية .

ويذكر المتتبعون للعلاقات الثقافية بين البلدان العربية ان مصر انشأت منذ نحو عامين مكتباً دائماً لتنظيم التعاون الثقافي — قبل بروتوكول الاسكندرية — وان حكومات العراق وسوريا ولبنان انضمت رسمياً الى هذا المكتب الذي ينتظر ان تنشأ له فروع في مختلف العواصم العربية ، وفي هذ كله دلالة على ان الاقطار العربية متعطشة بطبيعتها الى هذا التعاون والى انها ساهمت في تحقيقه مساهمة فعالة قبل مشاورات الوحدة .

ولعل كثيرين من قراء هذا الكتاب لم يتصل بهم نبأ المعاهدة الثقافية التي عقدت رسمياً بين مصر والعراق في شهر آب (اغسطوس) عام ١٩٤٣ والتي انضمت اليها سوريا مؤخراً ، فاتخذ التعاون الثقافي شكلا قانونياً دولياً قبل بروتوكول الاسكندرية باربعة عشر شهراً .

وتفصيل ذلك ، ان الحكومة العراقية قامت بمفاوضات مع الحكومة

المصرية خلال عام ١٩٤٣ في سبيل عقد معاهدة ثقافية بين البلدين ، فلما اتفقتا على صيغة المشروع النهائية ، اوفدت حكومة العراق الاساتذة طه الراوي وعبد الجبار الحلبي وخالد الشوربجي مندوبين عنها الى الاسكندرية ، وانتخبت الحكومة المصرية الاساتذة طه حسين ومحمد صادق جوهر وفخر حسني عمر ، وعقد الاجتماع الاول في ٧ آب (اغسطوس) عام ١٩٤٣ برئاسة معالي احمد نجيب الهلالي وزير المعارف العمومية المصرية ، وبعد ان تبودلت خطب الافتتاح شرع المندوبون في دراسة مشروع المعاهدة الثقافية فاتفقوا على ادخال بعض التعديلات الطفيفة ثم أقرته فيما بعد الحكومتان رسمياً .

ويطالع القارىء فيما يلي نص المعاهدة بموادها الاربع عشرة أوردناه كاملا لقيمته التاريخية ولاننا سوف نعود اليه في مناسبات عدة خلال الفصول المقبلة .

المادة الاولى – تتفق الحكومة الملكية المصرية والحكومة الملكية العراقية على ان تتعاونا تعاوناً ثقافياً وثيقاً في جميع شؤونهما الثقافية .

المادة الثانية – تتبادل الحكومتان المتعاقدتان المطبوعات التي تنشر في بلديهما وتعملان كذلك على تبادل الوسائل التعليمية كالسينما والراديو واجهزة المختبرات (المعامل) وغيرها .

المادة الثالثة – تتعهد الحكومتان المتعاقدتان بحماية حقوق التأليف والترجمة والنشر لكل ما ينشر ويسجل رسمياً في بلد الفريق الاخر من المطبوعات .

المادة الرابعة – توافق الحكومة الملكية المصرية على انتداب الاساتذة المصريين – مدرسين ومدرسات – الذين تطلبهم الحكومة العراقية على قدر استطاعتها وذلك لغرض التدريس في مدارس العراق بالشروط العامة او الفردية التي يتفق عليها . وتعتبر مدة الخدمة في العراق لمن كان موظفاً من المذكورين كأنها خدمة في الحكومة المصرية مع حفظ حقوقهم من حيث المناصب والتقاعد والترقية .

المادة الخامسة – تتبادل الحكومتان المتعاقدتان الاساتذة الزائرين لسنة دراسية قابلة للتجديد أو أقل ، وذلك بالشروط التي يتفق عليها لكل استاذ على ان تعتبر مدة الخدمة في الحكومة الاخرى كأنها في حكومة الاستاذ المختص وعلى ان تحفظ حقوق الاستاذ من حيث منصبه وتقاعده وترقيته خلال مدة عمله في معاهد الفريق الاخر .

المادة السادسة – تعمل الحكومتان المتعاقدتان على تقريب مناهج الدراسة مع مراعاة الظروف المحلية لكل من البلدين وتعملان على تعادل مراحل التعليم وشهاداته .

المادة السابعة – تعترف كل من الحكومتين المتعاقدتين بتعادل شهادتيها الابتدائية والثانوية دون اخلال بما قد تحتاج اليه بعض الدراسات العالية من امتحانات اضافية اثناء تلك الدراسات .

المادة الثامنة – توافق الحكومتان المتعاقدتان مع مراعاة احكام الفقرة الاخيرة من المادة السابعة على تبادل الطلبة وقبولهم في السنوات او الفصول المناسبة على قدر ما يتوفر لديها من مقاعد للدراسة .

المادة التاسعة – تعمل الحكومتان المتعاقدتان على تشجيع الاسفار والرحلات الثقافية والكشفية والرياضية بين البلدين وتسهيل معاملات جوازات السفر وخفض اجور وسائل النقل وغير ذلك .

المادة العاشرة – تعمل الحكومتان المتعاقدتان متفقتين على نشر المخطوطات العربية القديمة وتضمان الخطط لترجمة عيون الكتب الادبية والعلمية الاجنبية القديمة والحديثة .

المادة الحادية عشرة – تسعى الحكومتان المتعاقدتان في توحيد المصطلحات العلمية بواسطة المجامع والمؤتمرات واللجان المشتركة التي تؤلفها وبالنشرات

التي تنشرها هذه الهيئات .

المادة الثانية عشرة – تشجع الحكومتان المتعاقدتان عقد المؤتمرات العلمية والثقافية والتعليمية التي توافق على اغراضها بالوسائل التالية كلها أو بعضها :

(ا) المساهمة في وضع خطط المؤتمرات (ب) تسهيل معاملات جواز السفر (ج) تخفيض اجور النقل (د) المساعدات المالية للمؤتمرات . وغير ذلك من الوسائل .

المادة الثالثة عشرة – تؤسس الحكومتان المتعاقدتان مكتباً ثقافياً دائماً للعمل على تحقيق المشروعات الثقافية والتعليمية المنصوص عليها في هذه المعاهدة . ويعقد المكتب اجتماعاً عاماً مرة في السنة على الاقل . وتحدد مهمة المكتب واساليب عمله وتشكيلاته الادارية ومواعيد اجتماعاته ومدتها ببروتوكول خاص .

المادة الرابعة عشرة – تعرض الحكومتان المتعاقدتان هذه المعاهدة على الدول العربية لتنضم اليها اذا شاءت .

*

هذه المعاهدة ، والمكتب الثقافي الدائم ، وتبادل الاساتذة بين الاقطار العربية منذ عام ١٩٢٠ ، وتبادل بعثات الطلبة ، كل ذلك يؤيد ماذهبنا اليه في مطلع هذا الفصل في قولنا ان التعاون الثقافي بين الاقطار العربية طبيعي وقديم قامت الحكومات والافراد بقسط كبير منه قبل ان يقرر رسمياً في بروتوكول الاسكندرية .

التعاون اداة تقدم

سمعت خصوم التعاون الثقافي بين الاقطار العربية يوجهون الى هذه الفكرة اعتراضين ، أرى لزاماً عليّ ان اناقشهما على قدر ما تسمح به هذه الصفحات القليلة

يقولون ان الشعوب المتعاونة ليست في مستوى ثقافي واحد ، فهي متفاوتة تفاوتاً عظيما ، بينها المتقدم والمتأخر ، ويخشى من هذا التعاون ان يؤدي الى تأخر المتقدم أو ركود النهضة الثقافية فيه على الاقل — على حساب تقدم الشعوب المتأخرة فالتعاون الثقافي اذن اداة من ادوات الرجعية والانحطاط .

ويقولون ان هذا التعاون بين الشعوب العربية المتفاوتة ، عبء يقع على كاهل الاقطار المتقدمة ، ولن يقابله اي تبادل من ناحية الاقطار المتأخرة ، وبذلك يفقد صفة المشاركة الاساسية في لفظة التعاون ، ويصبح طريقاً ذات وجهة سير واحدة .

كلا الاعتراضين في نظري من وحي الأثرة والانانية ، وكلاهما واهٍ من اساسه ، بعيد اقصى البعد عن الروح العلمية الصحيحة .

نبدأ بدحض الاعتراض الاول فنقول ان المفهوم بالتعاون ان تتبادل الاقطار العربية ، في حدود امكانها ، ما تحتاجه من الاساتذة وان ، تسهل بعثات الطلبة وتتعاون في وسائل التدريس وتقرب ما بين مناهجها وتوحد مراحل التعليم فيها ومستوى الشهادات والاهداف الوطنية الكبرى وما الى ذلك من شؤون مشتركة .

فانا لا افهم كيف يكون ايفاد استاذ من قطر متقدم مثلا الى قطر متأخر عاملا من عوامل الرجعية والانحطاط اللهم الا اذا كان نشر العلم بين الجاهلين يؤدي الى انحطاط المعلم ، او نشر الفضيلة بين الاشرار يؤدي الى ضعف اخلاق المرشد !.. ان التقدم في اساليب التربية والتعليم قائم في الدرجة الاولى على الاختبار والتجربة ولا ريب في ان المعلم الذي ينتدب للتدريس في قطر يعود وقد اكتسب خبرة جديدة من تجاربه هناك ، وفهماً جديداً للطبائع البشرية ، وزاداً علمياً مضافاً الى زاده القديم ، وهو بلا ريب اقدر وامهر بعد عودته ، منه عندما غادر بلاده . فهو في رحلاته هذه عنصر من عناصر التقدم الثقافي العام .

ولو صح زعم المعترضين لكان ايفاد البعثات العلمانية من فرنسا الى مختلف انحاء الشرق عاملا من عوامل الرجعية والانحطاط في فرنسا ، ولكان تبادل الاساتذة الزائرين بين مختلف جامعات العالم — وهي متباينة متفاوتة من حيث المكانة الثقافية والمستوى العلمي — اداة من ادوات التقهقر العلمي ، في حين ان الجامعات تتوخى من هذه الزيارات تزويد اساتذتها بالاساليب الجديدة وتوسيع آفاق بحوثهم وتنمية خبرتهم وتجربتهم ، وهذا كله من عوامل التقدم .

ثم لا افهم كيف يكون ارتشاف طلاب من اقطار متأخرة مناهل العلم في البلدان المتقدمة ، عاملاً من عوامل ركود الحركة الثقافية في القطر المتقدم ، فهذه باريس وهي قبلة الطلبة من مختلف انحاء الشرق والغرب ، ولم نسمع يوماً ان اختلاط هذه العناصر المتباينة ادى الى انحطاط المستوى الثقافي فيها ، بل على النقيض من ذلك فان العلماء الفرنسيين يعتقدون ان هذا المزيج يكسب حضارتهم الروحية ألواناً جديدة لم يكن بامكانهم ان يقتبسوها

لولا هذا « الحي اللاتيني » الذي يكاد يشبه برج بابل بما يضمه من مختلف العناصر والاجناس .

ثم متى كان التعاون في وسائل التدريس من كتب ومصورات جغرافية أو تاريخية وما اليها من اسباب الايضاح في المعامل والمختبرات ، عاملاً من عوامل التأخر والانحطاط ، ما دام هذا الامر اختيارياً ليس فيه الزام لأحد الفريقين المتبادلين .

واما التقريب بين المناهج وتوحيد مراحل التعليم ومستوى الشهادات فهذه أمور تخضع أولاً لمقاييس عالمية متفق عليها ، فلن تكون الشهادة الابتدائية العربية الموحدة مثلاً ادنى في المستوى العلمي من الشهادة التركية المماثلة او الفرنسية او الانكليزية . فاذا كان مستواها الحالي ضعيفاً في قطر عربي ما فان الاقطار العربية لن تنزل الى ذلك المستوى المنحط ، ولكنها ستنهض بشهادة القطر المتأخر الى سويتها وستطلب منه ان يعدل مناهجه لتصبح معادلة في موادها الدراسية للمستوى الموحّد ، دون ان يؤثر ذلك في مستوى الاقطار المتفوقة .

بقيت الاهداف الوطنية العامة ، ولا اظن اننا متفاوتون رغبةً في المحافظة على سيادتنا وكرامتنا واستقلالنا ، والتمسك بالديموقراطية الحقة ، والتعاون في خدمة القضية العربية الكبرى ، قضيتنا المشتركة !

نخلص من ذلك كله الى ان التفاوت في المستوى العلمي بين الاقطار ليس عقبة في سبيل التعاون ولكنه اداة تقدم وتطور في الشعوب المتقدمة والمتأخرة على السواء .

واما الاعتراض الثاني القائم على ان التعاون عبء على بعض اعضاء جامعة الدول العربية وانه ذو وجهة سير واحدة فمردود ايضاً لاسباب عديدة أهمها

ان القطر المساعَد يتحمل نفقات وتكاليف ما يسدى اليه من خدمات فليس ثمة فضل لقطر على آخر وليس ثمة أي عبء ينوء به كاهل القطر المساعِد . واذا كانت الحالة الثقافية الراهنة في قطر من الاقطار لا تسمح له الآن بان يتبادل مع سائر البلدان خدمات أدبية او روحيـة فان بوسعه على الاقل ان يساهم مادياً في تحقيق المشاريع الثقافية الكبرى التي تعجز عن تحمل نفقاتهـا كل حكومـة على انفراد . ان هـذه المساهمة المادية وحدهـا كافية للدلالة على مدى الفائدة المشتركة والتقدم المرجو من التعـاون في الحقل الثقافي .

وغني عن البيان انه اذا كانت بعض الدول العربية قصيرة الباع في مضمار التعاون الثقافي ، فمن المحتمل ان يكون لها القدح المعلى والنصيب الاوفر في حلبة التعاون الاقتصادي او السياسي ، فليس التعاون اذن ذا وجهـة سير واحـدة كما يزعمون ، وانما هي منافع متبـادلة لا يمكن ان تكون بنسبة واحدة متساوية في جميع نواحي الثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصـاد وغيرها .

الشعوب العربية المتعاونة

موقف التعاون من الغرب

اول ما يتبادر الى الذهن ان الشعوب العربية التي يشملها التعاون الثقافي هي التي اشتركت في مشاورات الوحدة ثم وقعت بروتوكول الاسكندرية او انضمت اليه فيما بعد ، اي مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن والمملكة العربية السعودية واليمن . ولكن هذه الشعوب وحدها لا تكوّن الامة العربية اذ ان نظرة واحدة على خريطة العالم العربي تكفي لنذكر اننا نسينا اخواناً اعزاء لنا في برقه وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والسودان وحكومات الجزيرة العربية (الكويت ، وعمان ، ولحج ، والبحرين ، وعدن وحضرموت) ، واذا كانت ظروف هؤلاء الخاصة تحول دون مساهمتهم رسمياً في حقل التعاون الثقافي فانهم اعضاء طبيعيون في جامعة الدول العربية ، وعلى هذه الجامعة ان تعيرهم جانباً كبيراً من عنايتها ، وان تعمل على تعزيز الثقافة العربية بينهم بتزويدهم بما يحتاجون اليه من اسباب هذه الثقافة ، الى ان يأتي الزمن الذي يصبحون فيه اعضاء رسميين لهم ما لسائر الاعضاء من حقوق وعليهم ما على سائر الاعضاء من واجبات .

ولسنا نرى فيما يتحتم على الجامعة القيام به نحو هؤلاء الاخوان من توجيه ثقافي ، اي عداء للغرب . فاذا جاز لامم الغرب المتباينة لغة وثقافة ان تتعاون فيما بينها ثقافياً ، واذا جاز لها ايضاً ان تساهم في مساعدة الامم

الشرقية ثقافياً على الرغم من فقدان الصلات والروابط الروحية والثقافية بين هذه الامم الغربية والشرق ، فلسنا نفهم لماذا لا يجوز لابناء لغة واحدة ، وامة واحدة ، ان يتعاونوا في حقل الثقافة ، ولسنا نفهم كيف يجوز ان يعتبر هذا التعاون عداء للغرب فيقوم بعض الغربيين ويناصبونه العداء !..

واذا جاز للاميركيين والانكليز والفرنسيين — والالمان والطليان فيما مضى — ان ينشئوا المعاهد العلمية على اختلاف درجاتها والوانها والمستشفيات والملاجىء في مصر وسوريا ولبنان والعراق ، فلماذا لا تنشىء مصر وسوريا ولبنان والعراق وبقية الدول العربية مجتمعة — معاهد علمية في البلدان العربية الاخرى لتعزيز الثقافة العربية فيها ورفع مستواها العلمي .

منذ ايام صرح المسيو بيدو وزير خارجية فرنسا تعليقاً على المعاهدة الروسية الفرنسية انه يرى ان للدول الكبرى حقاً مشروعاً في نصح الدول الصغرى وارشادها وتوجيهها ، وان لفرنسا بوصفها دولة كبيرة الحق في ان تساهم في هذا النصح والتوجيه . فاذا جاز للدول الكبرى — وهذا ما لا نناقشه الان — ان تنصح وتوجه الصغرى فما احرى الدول العربية المستقلة بان تنصح وتوجه شقيقاتها الصغرى التي لم تنعم بعد بنعمة الاستقلال ، في حقل الثقافة على الاقل ! ...

ثم ان هذا الارشاد تسديه مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين والاردن والحجاز واليمن الى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش والسودان وامارات الجزيرة العربية ، ضرورة لا بد منها للحيلولة دون تفسخ الصلات الوثيقة بين هذه الاقطار والعروبة الأم ، هذه الصلات التي تعمل فيها معاول الهدم منذ قرن او نصف قرن وهي ما تزال على الرغم من ذلك قائمة تصمد في وجه عاديات الزمن وترقب بانتباه ما تحرزه اخواتها من نجاح في حقل التحرر

الوطني والتعاون الثقافي .

وعندي ان التعاون مع هذه الاقطار يجب ان يحصر الان في حقل تعزيز اللغة العربية الفصحى فيها عن طريق المساهمة في فتح المعاهد العلمية وتغذيتها بالاساتذة والمؤلفات المدرسية وغيرها ، وفتح ابواب المعاهد الثانوية والعليا في مختلف الاقطار العربية لقبول بعثات الطلبة منها وتسهيل شروط انتسابهم اليها ، واذا استطاعت كل حكومة من حكومات الجامعة العربية القيام بنصيبها في هذا الميدان ، فان جامعة الدول العربية تكون قد خطت خطوة موفقة مباركة نحو صيانة العروبة في هذه الاقطار .

*

لا يحضرني الان اسم ذلك الاديب الذي شبه اللغة الوطنية عند الشعوب السجينة بالمفتاح السحري لذلك السجن ، فالشعب الذي يحافظ على لغته يحتفظ بمفتاح سجنه ليفتحه يوماً ويعيش طليقاً ، ومن أضاعها أضاع المفتاح وظل سجيناً الى الابد ...

ميادين التعاون الثقافي

يرى الاستاذ الحصري في تقاريره عن اصلاح المعارف في سوريه ان واجبات وزارة المعارف السورية في توثيق الصلات الثقافية بين سوريه وشقيقاتها المختلفة تنقسم الى ثلاثة اقسام اساسية :

(أ) رفع الموانع والحواجز التي تعرقل الصلات الثقافية وتحول دون توثقها

(ب) العمل لضمان التقارب بين مناهج الدراسة في البلاد العربية المختلفة وتوحيد الاتجاهات الاساسية المرسومة لها

(ج) التعاون مع وزارات معارف البلاد العربية الاخرى في جميع الاعمال الانشائية التي تساعد على تكوين ثقافة عربية موحدة » (١)

ثم يورد بعد ذلك بصورة اجمالية بعض الوسائل العملية الضرورية لتحقيق هذه الفكرة ويعد الحكومة السورية بوضع مذكرة خاصة يفصل فيها ما يجب ان يعرض على بساط البحث في اللجان الفرعية للتعاون الثقافي ، ولسنا ندري ما اذا كان الاستاذ ، حفظه الله ، قد وضعها ولكننا نرجو ان يحقق وعده ، فهو بحق علم من اعلام التربية الحديثة في الشرق والغرب معاً ، ولارائه قيمة علمية خاصة لانه رافق التعاون الثقافي العربي منذ ربع قرن ولانه يجمع الى النبوغ والتخصص والتعمق ، خبرة طويلة واطلاعاً واسعاً في شؤون العالم العربي .

---

(١) تقارير عن حالة المعارف في سوريه واقتراحات لاصلاحها . للاستاذ الحصري ص٢٩٠

وتنص المادة الاولى من المعاهدة الثقافية المصرية العراقية على ان تتعاون الحكومتان المتعاقدتان تعاونا وثيقاً في جميع شؤونها الثقافية ثم يرد في بقية المواد ذكر بعض ميادين هـذا التعاون في تبادل المطبوعات ووسائل التعليم وحماية حقوق التأليف والترجمة والنشر وانتداب الاساتذة المصريين الى التدريس في العراق وتبادل الاساتذة الزائرين وتقريب مناهج الدراسة وتعادل مراحـل التعليم وشهادته والاعتراف بتبادل شهادتيها الابتدائية والثانوية وتبادل الطلبة وتشجيع الرحلات ونشر المخطوطات وترجمة عيون الكتب وتوحيد المصطلحات العلمية عن طريق المجامـع وعقد المؤتمرات الثقافية وانشاء مكتب ثقافي دائم . (١)

ولا شك في ان الفرق واضح بين الفكرتين فالاستاذ الحصري يدعو الاقطار العربية الى ثقافة عربية موحـدة ويطلب التعاون في كل عمل من شأنه ان يساعد على تكوين هذه الثقافة ، ويطالب بازالة الموانع والحواجز والتقريب بين المناهج مع توحيد اتجاهاتها الاساسية . بينما تنص المعاهدة على التعاون في كل شأن ثقافي ولا تشير الى التوحيد . ثم تأتي على ذكر بعض ميادين هـذا التعاون دون ان تدخل في التفاصيل والفروع .

وخطتنا في هـذا الكتاب ان ننهج — كما اشرنا في الفصل الاول — نهجاً وسطاً بين التعاون والتوحيد ، فنوحـد ما لا بد من توحيده ونتعاون فيما عدا ذلك ، وغايتنا في هـذا الفصل ان نعين ميادين التعاون الثقافي التي اجملها الاستاذ الحصري والمعاهدة ثم نحاول ان نضع في الفصول الباقية الخطوط الاولى لمشروع تنظيم هذا التعاون في كل ميدان من هذه الميادين ، فتأخذ الفكرة النظرية العامة شكلا عملياً قابلاً للتنفيذ .

---

(١) راجع النص الكامل للمعاهدة ص ٢٢ من كتابنا هذا

اما ميادين التعاون فان اغلبها وارد في المعاهدة ، وقد اضفنا اليها بعض النواحي التي اغفلتها المعاهدة او دمجتها بسواها ، وها نحن نورد هذه الميادين فيما يلي :

١ – المناهج
٢ – تحضير المعلمين
٣ – الكتب ووسائل التعليم
٤ – تنظيم المعادلات
٥ – البعثات العلمية
٦ – تبادل الاساتذة
٧ – المجامع اللغوية والعلمية
٨ – المدارس والجامعات
٩ – المكتبات العامة
١٠ – التأليف والترجمة والنشر
١١ – الرحلات
١٢ – التعاون الفني
١٣ – التعاون الرياضي
١٤ – المؤتمرات الثقافية والمحاضرات
١٥ – التعاون الاثري
١٦ – ادارة التربيةوالتعليم وانظمتها
١٧ – المشاكل الثقافيـة الخاصة والمشتركة .
١٨ – المكاتب الثقافية الدائمة

وقد افردنا لكل من هذه الميادين فصلا خاصاً من فصول هذا الكتاب .

المناهج

المناهج ، عند الامم ، دستورها الثقافي الذي ينظم حياتها ويوجه ابناءها وجهة صحيحة ، يعينها نخبة من اعلام الوطن مراعين في عملهم هـذا حاجات البلاد الخاصة والعامة وامكانياتها ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، مسترشدين بما قامت به الامم المتمدنة القريبة والبعيدة في هذا المضمار ، بذكاء وبصيرة ، فلا يسقطون في هوة التقليد الاعمى ولا يشذون شذوذ المغامر المعتد . ينظمون ذلك كله في قالب مرن يفسح فيه المجال للتطور والتقـدم والتعاون الوسيع الافق البعيد المدى .

هـذه المناهج هي من التربية الوطنية بمثابة القرآن والانجيـل من الدين مكانة وقدسية ، وبمثابة « المجلة » من العـدل ، تطوراً وتكيفاً . هي كالاحكام تتبدل بتبدل الازمان ، والجمود في حقل التربية والتعليم كالجمود في القانون ان لم يكن اكثر خطراً واشد ضرراً ، ولذلك يتوجب عـلى قادة الفكر اعادة النظر في المناهج كلما سنحت الفرصة او اقتضت الضرورة ، فلا تسير البلاد في الدنيا الجديدة بعد الحرب مثلاً على مناهجها العتيقة التي درجت عليها قبل الحرب او في اثنائها ، ورحم الله القائل العربي الحكيم : لا تقسروا اولادكم على تربيتكم فانهم مخلوقون لزمن غير زمنكم . »

وعندي ان وضع المناهج لكل شعب أو امة يتنـاول ثلاثة امور رئيسية وهي :

١ — الاهداف والاتجاهات العامة .

٢ — أقسام الدراسة وانواعها ومراحلها وشهاداتها وامتحاناتها العامة ليجعل منها جهازاً مترابط الاجزاء .

٣ — مواد الدراسة بالتفصيل لكل من الانواع والمراحل ، ولكل سنة من سنواتها (ويدخل ضمن هذا الباب توزيع الحصص بين مختلف المواد وفي مختلف السنوات)

وليس للمناهج ان تتدخل في تعيين اساليب التعليم ، الا بقدر ما تقتضيه الاهداف والاتجاهات العامة ، فالاسلوب يجب ان يظل حراً طليقاً من كل قيد ، يتصرف فيه الاستاذ كيف يشاء ، مراعياً فيه البيئة والمستوى والتنويع وما الى ذلك ، فلا تفرض طريقة تحليلية او استقرائية في اية مادة من مواد الدراسة ، فهذا مناف لأبسط قواعد التربية الحديثة .

*

سنتناول في هذا الفصل كلاً من هذه النواحي الثلاث الرئيسية محاولين بيان ما يجب توحيده منها وما يجب تقريبه عن طريق التعاون ، فنبدأ بالاهداف والاتجاهات العامة :

الاهداف والاتجاهات العامة

للمناهج اهداف او اتجاهات متنوعة فمنها ما هو قومي وطني ، ومنها ما هو خلقي روحي او علمي فكري او فني او بدني او اقتصادي او اجتماعي او عملي وهذه الاهداف بمجموعها تكون الهدف العام الذي أجمله الاستاذ العلامة الحصري في كلامه عن معارف سوريا فكان موفقاً حيث يقول : « هو تربية الجيل الجديد تربية صالحة — من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية لينشأ كل فرد من افراده قوي البدن ، حسن الخلق ، صحيح التفكير ،

محباً لوطنه ، معتزاً بقوميته ، مدركاً لواجباته ، مزوداً بالمعلومات التي يحتاج اليها في حياته ، قادراً على خدمة بلاده بقواه العقلية والبدنية وبجهوده الانتاجية » .

ان هذا الهدف لا ينطبق على سوريا وسائر البلاد العربية فحسب ، بل ينطبق على كل امة من امم الارض ، فليس اذن ثمة ما يحول دون الاتفاق على التوحيد بين الاقطار العربية في مثل هذا الهدف العام .

ولو رحنا نبحث الاتجاهات العامة المتنوعة بشيء من التفصيل لما وجدنا ما يحول دون توحيدها ايضاً لانها مشتركة بين افراد الاسرة العربية ، ولأن هذا التوحيد لا يمس كيان اي قطر من الاقطار المتعاونة أو شخصيته ، بل يقوي هذا الكيان ويدعم هذه الشخصية .

نبدأ بالاتجاه القومي الوطني وهو اسمى هذه الاتجاهات وانبلها وهو في نظري واحد عند جميع الشعوب العربية ، لا يختلف في مصر عنه في لبنان او في الحجاز او في اية دولة عربية أخرى . أليس هدفنا القومي في مصر أن نعد نشئاً موحد العقيدة الوطنية ، مؤمناً بالمبادىء الديموقراطية ، يحب وطنه مصر ويفدي استقلالها وعزتها وكرامتها وعلمها بالمهج والارواح ، ويشعر انه عربي الوجه والقلب واليد واللسان ، وانه جزء من الوطن العربي الكبير ، وان كل اعتداء يوجه الى اي قطر عربي فكأنما وجه الى مصر ، وان عليه واجبات نحو الامة العربية التي يعتز بانه احد ابنائها ، فيساهم في تعزيز اللغة العربية وفي احياء تراثها المجيد العلمي والادبي ، الروحي والمادي ، ويعمل على توثيق الصلات بين مصر وشقيقاتها العربيات في شتى النواحي والميادين وبختلف الوسائل ؟

ترى هل ثمة قطر عربي يشعر بغير هذا الشعور الوطني ؟ وهل في مثل هذا الهدف القومي مس بسيادة اي قطر عربي او استقلاله التام ؟

فما الذي يمنع مندوبي الدول العربية في لجان القاهرة الفرعية من الاتفاق على نص موحد للتوجيه القومي الوطني في المناهج ؟ هذا امر ممكن ولا يجوز التهاون فيه ، ومتى اتفقوا على الصيغة ، وقبلوا هذا المبدأ — واكبر ظني انهم فاعلون — عكفوا على توضيحه باضافة بعض المواد الآتية وامثالها اليه :

١ — تعتبر اللغة العربية وحدها لغة التدريس في جميع مراحل الدراسة (باستثناء بعض فروع التخصص في المعاهد العليا وذلك بصورة موقتة ريثما يتسنى لجامعة الدول العربية تحضير الاساتذة والمؤلفات والمصطلحات لهذه الفروع) .

٢ — تُعزّز في دروس التاريخ والجغرافية والتربية الوطنية الناحية العربية المشتركة فيشعر النشء في كل قطر عربي ان له تاريخاً عربياً مشتركاً مجيداً ، وان ثمة روابط جغرافية تشد هذه البلاد بعضها الى بعض ، وان هذه الحواجز المصطنعة التي تفصل بينها اليوم اقتصادياً وسياسياً يجب ان تزول تدريجياً عن طريق التعاون في جامعة الدول العربية .

٣ — يستفاد من كل مناسبة في المناهج لتنمية الشعور بالعزة القومية ، والقضاء على مركب النقص الوطني الذي ما فتئ البعض يبثونه في نفوس النشء في مختلف الاقطار العربية ...

٤ — تحرص المناهج على ابراز خدمات الاقطار العربية للحضارة فيتعرف النشء الى فضل العرب في شتى ميادين العلوم والآداب والفنون والى مآثرهم ومدى مساهمتهم في بناء العمران البشري .

*

ننتقل الآن الى الاتجاه الخلقي الروحي ، ونحن في هذه الناحية متفقون مع سائر أمم الأرض فيما يذهبون اليه من ضرورة غرس الفضيلة في نفوس النشء وتوجيه المناهج بصورة عامة نحو الخير فنحن اذن في غنى عن التوسع هنا ،

ولكننا نحتاج اكثر من اية أمة من الأمم الى استئصال خلقين اثنين كانا منذ القدم سبباً من اسباب التخاذل بين الاقطار العربية ، وهما التعصب والأثرة ، لنحل محلها خلقي التساهل والتضحية ، فلن يضير اي قطر عربي ان يشار في الاهداف العامة مثلاً الى طبع المناهج الدينية بطابع التساهل والتآخي فيفهم الشباب ان « الدين لله ولكن الوطن للجميع » ويدركون معنى قول المغفور له فيصل الكبير : « نحن عرب قبل موسى وعيسى ومحمد . »

ولن يضير اي قطر عربي ان يشار في الخطوط الكبرى للمناهج الى ان الاقليمية الناشئة عن الأثرة معول يدك معالم العالم العربي من أساسه ، وان على المناهج ان تعمل على مكافحة هذه النزعة في شتى المناسبات ، وما اكثرها !...

هذه بعض النماذج من اهداف المناهج العامة الروحية والخلقية ، وعندي ان التوحيد فيها ضروري لما يترتب عليه من اصلاح خلقي نحن في أشد الحاجة اليه .

وليس من شك في ان الاتجاهات العلمية والعملية والفنية والصحية البدنية والاجتماعية والاقتصادية تكاد تكون واحدة في مختلف الاقطار المتعاونة فينبغي توحيدها . الستَ ترى ان نهضة الغرب الحديثة قامت على اسس من التقدم العلمي ، وان نصيب الشرق العربي منه كان ضئيلاً ، فاذا اوصت الاهداف الكبرى في المناهج بضرورة افساح المجال امام الطالب لينعم بثقافة علمية متينة واسعة ، تعزز فيها الناحية العملية من العلم وتشفع فيها النظريات بالعمليات ، فيقوم تدريس العلوم الطبيعية على التجارب في المختبرات والمعامل ، لا على النظريات وحدها ، ويستمد تنظيم منهاج الرياضيات روحه من الحياة العملية بالاضافة الى النظريات والتمارين — اذا اوصت بهذا كله — فانما هي توصي

بامور يرحب فيها كل منهاج في كل قطر عربي .

واذا حض واضعو المناهج على تنمية الذوق الفني الذي يدرك مواطن الجمال في روائع الفن ، فانما يدعون الى هدف مشترك بين الاقطار العربية جمعاء ، واذا هدفوا الى العناية بالجسم عن طريق الرياضة البدنية واللعب المنظم والحر ورغبوا في ان يلم الناشيء في مختلف المناسبات المنهجية بطرق الوقاية ومباديء حفظ الصحة ، فانما يدعون الى امور تقرها جميع مناهج الدول العربية . ومن ينكر ان مشاكلنا الاجتماعية في الشرق العربي تكاد تكون واحدة وان ما يذكر في الاهداف العامة عن اصلاح المجتمع العربي يكاد يكون واحداً ايضاً ؟

بقي التوجيه الاقتصادي في الخطوط الكبرى للمناهج ، وقد نسلم ان ثمة بعض الفوارق الاقليمية وبعض الاختلاف في امكانياتنا الاقتصادية ، فهناك مناطق في الشرق العربي تعتبر زراعية في الدرجة الاولى ، مناطق تغلب عليها التجارة أو الصناعة ، كما ان ثمة بلاداً حبتها الطبيعة بجمال المناظر وطيب المناخ ، وبلاداً حوت من الآثار القديمة والاماكن المقدسة ما جعلها محجة الزوار والسياح ، فكان لها في ذلك مورد اقتصادي عظيم . ومن الطبيعي ان تتأثر مناهج كل قطر بحاجاته الاقتصادية الاقليمية ، ويتم ذلك بانشاء المدارس الزراعية او التجارية او الصناعية وفقاً لحاجة المنطقة ؛ واما التوجيه الاقتصادي العام فواحد لأن الاقطار العربية تؤلف بمجموعها وحدة اقتصادية بشهادة الخبراء من اساطين الاقتصاد السياسي من الوطنيين والحلفاء. وقد اثبتت التجربة خلال هذه الحرب انها تستطيع ان تتعاون بنجاح فتؤلف جهازاً اقتصادياً منسقاً منسجما ، لذلك كان على واضعي المناهج ان تقوم توجيهاتهم العامة على تعزيز هذا التعاون والاستفادة من كل مناسبة لاظهار فوائده

المشتركة .

*

يتبين مما تقدم ان الاهداف والاتجاهات العامه في مناهج الاقطار العربية واحدة فيجب اذن ان يقوم مندوبو الاقطار العربية في اللجان الفرعية الثقافية بتوحيدها توحيداً تاماً .

ويجب ان يتقيد واضعو المناهج بهذه التوجيهات العامة فتأتي المناهج موسومة بطابعها ، متفقة في روحها مع الاهداف السامية والا ضاعت الفائدة من ترحيد هذه الخطوط الكبرى .

اقسام الدراسة وانواعها ومراحلها وشهاداتها

الدراسة اقسام ثلاثة : ابتدائية وثانوية وعالية ، وكل قسم يتم في مرحلة تتألف من عدد من السنين وتتوّج بشهادة .

والدراسة انواع : دراسة عامة لا علاقة لها بالتخصص والتوجيه المهني المسلكي وتتم في مدارس الثقافة العامة ، ودراسة خاصة تتعلق بكل فرع من فروع التخصص والمهن : زراعية أو تجارية أو صناعية ، فنية أو أدبية أو علمية ، طبية أو حقوقية أو هندسية الخ ... وتنقسم معاهد التخصص وفاقاً لمراحل الدراسة فمنها ما هو ابتدائي ومنها ما هو ثانوي ومنها ما هو عال جامعي .

*

وعندي ان اقسام الدراسة ومراحلها وشهاداتها يجب ان توحد بين الاقطار العربية ، لا حباً بمبدأ التوحيد ، ولكن تسهيلاً لمبدأ التعاون الثقافي . فاذا لم تكن البكالوريا مثلاً موحدة في البلدان العربية ، فأن التحاق طلاب مصر بجامعة دمشق او بغداد يصبح متعذراً ، وتقام العقبات دون انتساب شباب

لبنان وفلسطين الى الجامعة المصرية .

ولن يتم توحيد الشهادات الاّ بعد ان يتم الاتفاق على اقسام الدراسة ومراحلها ؛ اذ ان على تحديد هذه الاقسام وتعيين عدد السنوات يتوقف مستوى كل شهادة من الشهادات .

بين يدي قانون المعارف السوري الجديد (*) الذي وضعه العلامة الحصري واقره البرلمان السوري منذ بضعة اسابيع وهو بالاضافة الى انطباقه على احدث النظم التهذيبية يتضمن تعيين هذه الاقسام والمراحل والانواع بشكل واضح لا يحتمل اللبس والغموض والتأويل . فلماذا لا يقارن رجال المؤتمر الثقافي بينه وبين ما يماثله من قوانين الاقطار الاخرى ويصار الى وضع نص موحد لتنسيق هذه الناحية الهامة من المناهج ، فتنقذ البلدان العربية من فوضى الشهادات واختلاف مراحل الدراسة ؟

يقسم هذا القانون التعليم الى ثلاث مراتب : الابتدائي والثانوي والعالي ، ويحدد مدة الدراسة الابتدائية بخمس سنوات ولا يقبل فيها الا التلاميذ الذين اتموا السادسة من العمر . واما الاحداث قبل بلوغهم هذه السن فقد نظم لهم القانون رياضاً للاطفال او دوراً للحضانة يرتادها الصغار بين الثالثة والسادسة .

وجعل القانون السوري مدة الدراسة الثانوية ست سنوات تنقسم الى دورتين : الدورة الأولى او المتوسطة ومدتها اربع سنوات والدورة الثانية وتقسم الى فرعي العلوم والآداب .

واما التعليم العالي الجامعي فتركه مستقلاً تنظمه الجامعة .

*

ترى هل ثمة اختلاف جوهري بين أقسام الدراسة ومراحلها — كما هي

---

* راجع النص الكامل لهذا القانون في آخر الكتاب .

عليه الآن – في الاقطار العربية ؟ ان نظرة سريعة الى الجدول المقارن المنشور ادناه تدل على انها متقاربة وتكاد تكون واحدة :

جدول مقارن لمراحل الدراسة في بعض الاقطار العربية

القطر	مدة الدراسة الابتدائية	مدة الدراسة الثانوية	المجموع
مصر	٦	٥	١١
العراق	٦	٥	١١
سورية	٥	٦	١١
لبنان	٥	٧	١٢
فلسطين	٧	٤	١١

جدول مقارن لمراحل الدراسة في بعض الاقطار الاجنبية

القطر	مدة الدراسة الابتدائية	مدة الدراسة الثانوية	المجموع
تركيا	٥	٧	١١
فرنسا	٥	٧	١٢
اسبانيا	٥	٦	١١
رومانيا	٤	٧	١١
المكسيك	٦	٥	١١
البرازيل	٥	٦	١١
بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الاميركية	ليست المدة محدودة في القانون ولكنها تقرب في مجموعها من ١١ سنة .		

من هذين الجدولين يبدو ان ثمة ما يقرب من الاجماع بين الامم كافة على ان يكون مجموع مدة الدراستين الابتدائية والثانوية احدى عشرة سنة ، وعلى ان تتراوح مرحلة الدراسة الابتدائية بين خمس وست سنوات

وكذلك المرحلة الثانوية . فليس اذن ما يمنع الاقطار العربية ، وهي مجمعة تقريباً على اعتبار مجموع سنوات الدراستين ١١ عاماً ، ان تتفق فيما بينها على توزيعها بين ٥ أو ٦ للتعليم الابتدائي ، و ٥ أو ٦ للتعليم الثانوي .

واذا اتفق المندوبون في لجان القاهرة الفرعية على ذلك فانهم لا يخلقون بدعة ولا يبتكرون جديداً ، ولكنهم يقرون الأمر الواقع بشيء بسيط جداً من التعديل . ومتى قاموا بهذه الخطوة ووحدوا المراحل ، انتقلوا الى تحديد مواد الدراسة المطلوبة في كل مرحلة مع مقاديرها بصورة عامة اجمالية ليكون المستوى واحداً أو متقارباً في نهاية كل مرتبة ، فيرتكز التعادل بين الشهادات على أسس علمية صحيحة .

وليس من الضروري ان يدخلوا في تفاصيل كل مادة من مواد الدراسة ولكن يُكتفى بالخطوط الرئيسية الكبرى ففي منهاج الحساب للمرحلة الابتدائية مثلاً ، يطلب من التلميذ اتقان الاعمال الاربعة والكسور العشرية والعادية والنسبة والفائدة مع تمارين عليها . وينهج مثل هذا النهج في بقية المواد .

وليس لقطر ان يتدخل في امتحانات القطر الآخر العامة ولا طريقة توزيع مواد الدراسة على السنوات المختلفة وما الى ذلك من شؤون يؤدي التدخل فيها الى مركزية نشجبها من أساسها ونعتبرها شللا للتقدم الثقافي المنشود .

*

واما مناهج المدارس الاختصاصية التي تهدف الى تعليم بعض المهن كالزراعة والصناعة والتجارة والفنون الجميلة ومدارس المعلمين فليس من الضروري توحيدها بل يجب ان تظل حرة ، تُكيف وفقاً لحاجة البلد الاقليمية . على ان مجال التعاون فيها فسيح جداً وسنبين ذلك بتفصيل في الفصل الخاص بالمدارس والجامعات .

مواد الدراسة في مختلف المراحل والسنوات

لعل هذه الخطوة في وضع المناهج اصعب وادق الخطوات الثلاث ، فهي تتناول توزيع المادة الواحدة على مختلف سنوات الدراسة ، وتتناول في الوقت نفسه توزيع المواد جميعها على حصص الاسبوع ، مراعية أهمية كل مادة بالنسبة الى الاخرى وبالنسبة الى المجموع . وعلى المربين في توزيع المادة الواحدة على سنوات الدراسة الاختيار بين الطريقة القائمة على اعادة الموضوع نفسه في مختلف السنوات موسعاً في كل سنة عن السنة السابقة في حلقات ، التالية اوسع من السابقة ، او الطريقة الثانية القائمة على تجزئة الموضوع الى اجزاء ، يعطى كل جزء في عام دون اعادة الا فيما لا يستغنى عنه . وعلى المربين ايضاً ان يراعوا البيئة والاقليم في توزيع المواد الدراسية على السنة الواحدة ، وان يتقيدوا في الوقت نفسه وهم يقومون بهذه الاعمال المختلفة ، بالاهداف والاتجاهات العامة ، وعليهم ان يضعوا توجيهات خاصة لكل مادة من مواد الدراسة يسترشد بها الاستاذ في فهم روح المنهاج على حقيقتها .

هذه المهمة الشاقة الدقيقة المتشابكة تتطلب في كل قطر ان يضطلع بها اخصائيون يفهمون طبيعة البلد وحاجاته الروحية والمادية ، بالاضافة الى خبرتهم الفنية وتعمق كل منهم في المادة التي ينظم منهاجها . واني لا أرى بوجه من الوجوه ان يلجأ المؤتمرون الى فكرة التوحيد في مثل هذه الشئون ، بل يستحسن ان يتعاونوا في التقريب ما بين مناهج الاقطار المختلفة بتبادل الآراء والتوصيات ، دون التقيد بتوزيع معين ، لمقادير معينة ، من مادة معينة في صف (فصل) معين .

على ان تسلسل المواضيع الطبيعي في مختلف المواد من جهة ، وشدة التشابه بين الاقاليم العربية من جهة ثانية سوف ينتهيان بهم ، دون ان

يقصدوا ، الى وضع مناهج متقاربة ، تسهل انتقال التلميذ من صف من صفوف المدرسة الثانوية في لبنان مثلاً الى ما يعادله في معاهد مصر او العراق ، وتمكن حكومة مصر – اذا شاءت – من الاستعانة بالكتب المدرسية العراقية وبالعكس .

اضف الى ذلك كله ان التفاوت بين الاقطار العربية في بعض المراحل الدراسية يكاد يكون مفقوداً ، فهما تفلسف الغلاة فان مناهج رياض الاطفال والسنوات الاولى من الدراسة الابتدائية في جميع البلدان العربية – والغربية ايضاً – لاتختلف – اذا استثنينا قضية اللغة والاهداف الوطنية فيما يتعلق بالغرب – الاّ في امور قليلة جداً .

*

وقبل ان نختم حديثنا عن المناهج في الاقطار العربية المتعاونة نلخص ما بسطناه في هذا الفصل ، فنحن نطالب بالتوحيد التام في الاهداف والاتجاهات العامة ، وفي تعيين مرحلتي الدراسة الابتدائية والثانوية من مدارس الثقافة العامة ، ومستواهما وشهادتيهما ، وندعو الى التعاون فيما عدا ذلك .

ونرجو ان يوفق المؤتمرون الى تحقيق امنيتنا هذه ، فهي في نظرنا أهم خطوة من خطوات التعاون الثقافي ، وعليها يتوقف نجاح التعاون في ميدان السياسة والاقتصاد والاجتماع ، بل لسنا مغالين حين نقول انها الدعامة الاولى في بناء جامعة الدول العربية .

تحضير المعلمين

كلما فكرت في معلمي شرقنا العربي « الذين كادوا ان يكونوا رسلًا » على حد تعبير شاعرنا شوقي ، ذكرت الامتحانات العامة التي كانت تقام في الصين لانتخاب موظفي الدولة ، فالمدارس الصينية تعد الطلاب المرشحين لهذه المسابقات ، فينجح من ينجح منهم ، ويعود الراسبون الى المدارس نفسها ، لا ليتلقوا الدروس من جديد ، ولكن ليلقوا الدروس على زملائهم الطلبة ، ويتولوا شؤون التعليم فيها ، فالتعليم مهنة الفاشلين في الامتحانات العامة !...

والتعليم في شرقنا العربي — على وجه العموم — مهنة الذين تغلق في وجوههم ابواب الرزق ، مهنة الفاشلين في الحياة . والمعلمون بمجموعهم — ويالاسف — من الهواة الذين لم يكن يدور في خلدهم يوماً وهم على مقاعد الدراسة انهم سيتعاطون هذه الصناعة المقدسة ، ولذلك فهم يحضروا لها تحضيراً فنياً مسلكياً . قد يكون بينهم من يحمل البكالوريا او الليسانس ، ولكن كلتا الشهادتين لا تعد صاحبها لهذه المهنة ، فالاولى جواز مرور الى الجامعة ، والثانية شهادة تخصص في فرع من الفروع وهي لا تخول حاملها حق ممارسة التعليم بل قد لا تمت الى التربية بصلة .

أما الذين اعدوا اعداداً فنياً صالحاً للاضطلاع باعباء التربية والتعليم فقليلون بالنسبة الى المجموع ، واكثر هؤلاء ينتسبون الى التعليم الرسمي .

ولعل مصر أغنى الاقطار العربية في عدد المعلمين الفنيين بالنظر لتوفر

مدارس المعلمين ومعاهد التربية فيها ، ولكن هذا العدد الكبير من الاساتذة يتضاءل عندما تقرنه بعشرين مليون نسمة من المصريين !

وسبب هذا القحط في المعلمين الفنيين يعود الى ان حكومات الاقطار العربية لم تعن عناية كافية بانشاء مدارس المعلمين ، بل كانت تعتمد في اختيار مدرسيها على حملة شهادات الثقافة العامة .

وعلى سبيل المثال نذكر انه ليس في لبنان سوى فرعين صغيرين ابتدائيين لتحضير بضعة عشر معلماً ومعلمة في العام ، وليست سوريه بأحسن حالا من لبنان ، ففيها ايضاً ثلاثة معاهد لتحضير الاساتذة ، اثنان للمعلمين وثالث للمعلمات ، وجميعها لا تخرّج اكثر من عشرين او ثلاثين معلماً ومعلمة للمدارس الابتدائية في كل عام . ولو كان عدد المعلمين في العراق كافياً لما استعانت حكومة العراق بالاساتذة المصريين والسوريين . واما مصر فهي كما ذكرنا غنية نسبياً ولكنها اخذت تشعر بفقرها حين اخذت تكافح الامية وقررت مبدأ التعليم الالزامي وتدفق الطلاب على معاهدها كالسيل ، فلم تستطع سد حاجتها من الاساتذة الفنيين .

ولو رحنا نستعرض ما لدينا من احصاءات لوجدنا ان السواد الاعظم من الطلبة في الاقطار العربية يتتلمذون على الهواة الذين يجمعون بين مهنة التعليم ومهنة اخرى ، او الذين اصبحوا معلمين بما افادوه من اختباراتهم وتجاربهم الخاصة ، دون ان يحضّروا لصناعتهم تحضيراً فنياً .

*

لقد تبدلت الحالة في الصين ، وأقامت الحكومة الصينية الحديثة عن اختيار موظفيها بالمسابقات العامة ، ولم يبق للراسبين اثر في تثقيف النشء الصيني . ولكننا في شرقنا العربي ما نزال نعتمد الى حد بعيد على الهواة والمتطفلين في تنشئة ابنائنا !...

امامي احصاءات كثيرة عن عدد المعلمين الفنيين في مختلف الاقطار العربية ومنها يحق لي القول بان هؤلاء يؤلفون أقلية ضئيلة جداً بالنسبة الى العدد الكبير من المعلمين الذين لا ينعمون بأية ثقافة مسلكية . ويحق لي ايضاً ان استنتج من هذه الحالة المؤسفة ان حكومات الشرق العربي لا تعلق أهمية كبيرة على شهادة التعليم المسلكية ، وتعتبر كل من حمل شهادة علمية مهما يكن نوعها ، أهلاً لتربية النشء ، بدليل انها لم تفكر حتى الان جدياً في سد هذا النقص الفادح . أليس من المحزن حقاً ان يكون في مدارس المعلمين السورية الثلاث ٧٢ طالباً فقط يتخرج نصفهم كل عام أي نحو ٣٦ معلماً ومعلمة ؟ ثم كيف يتسنى لسورية تحقيق فكرة التعليم الالزامي — ومعناها فتح مئات من المدارس الجديدة — مستعينة بـ ٣٦ معلماً ومعلمة ؟

وهل ألام اذا استنتجت من ذلك كله ان الحكومات العربية لا تعتبر التعليم سلكاً محترماً ، فهي تسمح لمن شاء ان ينتسب اليه ، سواء اتوفرت فيه الكفاءة ام لم تتوفر ، وتلقى اليه بابناء الامة أي بمقدراتها ؟

اليس التعليم في الغرب سلكاً محترماً كالطب والمحاماة والهندسة ، فلماذا لا يكون كذلك في شرقنا العربي ؟ ان التدجيل في التعليم لا يقل خطورة عنه في الطب او القانون بل هو عندي اشد فتكاً وابلغ ضرراً !

*

وتدل هذه الاحصاءات على ان ثمة زهداً عند الشباب في الانتساب الى هذه المهنة المقدسة ، والا فكيف تعلل ضئالة العدد في مدارس المعلمين في مختلف الاقطار ؟ ولسنا نعدو الانصاف حين نصرح بان هذا الزهد تحمل وزره الحكومات نفسها فهي ، بوجه عام ، لا تقدر المعلم حق قدره ولا تضعه

بعد تخرجه من مدرسته المسلكية ، في مرتبة تتناسب وخدماته الوطنية الجلى للنشء ، فتعتبره كسائر الموظفين بل قد تحرمه من امتيازات كثيرة يتنعم بها غيره من زملائه الموظفين . واقسم اني ما رأيت معلماً وتحدثت اليه عن مستقبله ، الا واعرب لي عن انتظاره الفرصة السانحة ليتخلص من هذا السلك العقيم !

*

بقيت حقيقة ثالثة وهي ان معاهد تحضير المعلمين قليلة جداً في الاقطار العربية ، وتكاد تكون مفقودة تماماً في بعضها . ومن العجب العجاب ان نحاول اصلاح المناهج قبل ان نشرع في اصلاح المعلم ، ومثلنا في ذلك مثل القائد يضع الخطط الممتازة لمعركة يخوض غمارها بلا جنود او بجنود من خشب ! ...

ان كل محاولة لتوحيد المناهج او التقريب بينها فاشلة اذا لم تقرن بجملة منظمة لاصلاح المعلم الذي سيتولى تنفيذ هذه المناهج . والسبيل الوحيدة الى هذه الغاية تأسيس مدارس المعلمين وايفاد البعثات الى المعاهد العليا في الشرق والغرب للتخصص في شؤون التربية والتعليم . ولقد ادرك العلامة الحصري ذلك تماماً حين تولى ادارة معارف العراق العامة منذ ربع قرن فكان اول عمل قام به بالاضافة الى ايفاده البعثات الى الشرق والغرب واستحضار الاساتذة من مصر وسوريا ولبنان ، تحضير الاساتذة في العراق نفسه ففتح مدرسة المعلمين بفرعيها الريفي والابتدائي فضمت اول الامر نحو ٢٠٠ طالب ثم توسعت فيما بعد وتخرج منها بعد ثلاثة اعوام افواج المعلمين الذين ساهموا في بناء العراق الحديث .

*

هذه هي الحقائق الثلاث الاليمة التي تتجلى في حقل التربية العربية :

نقص في الاختصاص او سيطرة الهواة ، وزهد الشباب في مزاولة مهنة التعليم المقدسة ، وقحط في مدارس المعلمين . أليس في هذا الميدان مجال فسيح للتعاون بين الاقطار العربية ؟ بلى ، وهذا ما سنحاول بيانه في هذا الفصل .

يستطيع المؤتمرون ان يضعوا حداً للهواية في التعليم باقرار مبدأ موحد يجعل التعليم سلكاً محترماً لايجوز الانتساب اليه الا لمن توفرت فيه الكفاءة المسلكية المبنية على شهادة فنية محترمة . واما المعلمون الذين يحملون شهادات الثقافة العامة فتنشأ لهم دروس ليلية في التربية والتعليم يجتازون في نهايتها امتحاناً يمنحهم الشهادة المسلكية . واما الذين لا يتمتعون بأية رتبة تعليمية محترمة فيستغنى عنهم تدريجياً ويستبدلون بما تخرجه مدارس المعلمين من شباب فنيين يفهمون رسالة المعلم واثره في بناء الامة .

ويتخذ المؤتمر التواصي بان يسعى كل قطر عربي ، في حدود امكانيته المادية ، لمكافحة زهد الشباب في مهنة التعليم ، برفع مستوى المعلم المادي من حيث الرتبة والراتب والترقية ، ومدة الخدمة قبل التقاعد ، فتصبح وظيفه المعلم مغرية يقبل عليها الفتيان بشوق ورغبة . واعتقد ان جيراننا الاتراك وفقوا في معالجة هذه الناحية الى حد بعيد فلا بأس بان نستعين بالاصلاحات التي قاموا بها وان نقتبس منها ما يتلائم وحاجاتنا ومقدرتنا الاقليمية .

*

ولكن الناحية الرئيسية التي يجب ان توجه اليها جهود المؤتمرين هي ولا ريب تحضير المعلم ، والاتفاق على انجع وسائل التعاون في هذا الشأن ، وافراغ هذه الوسائل في قالب عملي يسهل تحقيقه بسرعة .

يتسنى للدولة تحضير المعلمين باحدى وسيلتين :

١ — تأسيس مدارس المعلمين .

٢ – ايفاد الشبان الى الخارج .

وعندي ان تحضير المعلمين لمرحلة الدراسة الابتدائية يجب ان يتم في البلد نفسه دون الالتجاء الى البعثات الا عند الضرورة القصوى ، ولذلك أرى ان تتعاون الدول العربية في انشاء مدارس المعلمين الأولية والريفية بتزويد كل قطر بما يحتاجه من اختصاصيين لادارة هذه المعاهد والتدريس فيها ، وامداده بالمناهج والانظمة والمؤلفات الى ان يتسنى له تأمين هذا كله بجهوده الخاصة .

واما تحضير اساتذة الاقسام الثانوية والمدارس المهنية فقد يتعذر على كل قطر ان يقوم به داخل بلاده وبجهوده الفردية ، واعتقد ان مصر اوفر استعداداً للاضطلاع باعباء هذه المهمة من سائر الاقطار العربية ، فجامعتا فؤاد الاول في القاهرة وفاروق الاول في الاسكندرية والى جانبها معهد التربية ودار العلوم العليا وكلية اللغة العربية في الجامعة الازهرية ، والمدارس العليا للزراعة والصناعة والتجارة والفنون الجميلة – كل ذلك يجعل مصر قبلة الشعوب العربية في تحضير المعلمين للدراسة الثانوية والمهنية .

وليس للمؤتمر ان يحتم على اي قطر عربي ايفاد بعثاته الى هذه المعاهد العليا اذا كان في مقدوره تحضير اساتذته في جامعاته الخاصة . ولكن على المؤتمر ان ينظم هذا التعاون الحر بشكل تستطيع معه مصر قبول هذا العدد الغفير من شباب العرب للتخصص في التعليم في معاهدها العليا ، اما بالمساهمة المادية فيما قد يقتضيه هذا التوسع من نفقات ؛ أو بانشاء حي خاص للطلبة يكون فيه لكل قطر عربي بيت تنفق عليه حكومة ذلك القطر ، على غرار الحي الذي انشىء قبل الحرب في باريس والذي مثلت فيه اكثر دول العالم .

ويؤسفني ان اقول جازماً انه يتعذر الآن على اية حكومة عربية انشاء معهد كدار العلوم العليا المصرية لتحضير اساتذه اللغة العربية ، هذا المعهد

الذي يتهمه البعض بالرجعية ويود الحاقه بالجامعة ، ولكنه على الرغم من ذلك مفخرة من مفاخر مصر ، ومعقل من معاقل العروبة ، واليه يعود الفضل الاكبر فيما انجبته مصر من اساتذة متمكنين من فقه اللغة وفلسفتها وقواعدها متعمقين في فهم روح البلاغة واسرارها مختصين في اساليب تدريسها . فلماذا لا تفتح ابواب هذا المعهد على مصاريعها في وجه الاقطار العربية فيخرج لها نخبة صالحة لتدريس اللغة العربية في الاقسام الثانوية ؟ وقد اسلم جدلا بان منهاج دار العلوم مثقل بالمواد القديمة الصعبة المرهقة والجافة احياناً ، ولكن فهمنا للغة فهماً صحيحاً يخولنا تدريسها بكفاءة لا يمكن ان يتم الا بعد دراسة عميقة لهذه العلوم على النحو المتبع في دار العلوم .

وتستطيع كلية اللغة العربية في الجامعة الازهرية ان تقبل الراغبين في التخصص باللغة العربية الى جانب العلوم الدينية وهذه ناحية قد لا تشترك فيها جميع الاقطار العربية .

واما تحضير اساتذة الآداب والعلوم والفنون والمهن للاقطار العربية في جامعتي فؤاد وفاروق ومعهد التربية ومعاهد التخصص المهني العليا فأمر لن يتوقف على رغبة الحكومات العربية فيه ، ولكن على مدى استيعاب هذه المعاهد ، ومدى استعداد مصر لتوسيعها ، وعندي ان خير خدمة تستطيع مصر اداءها في حقل التعاون الثقافي هي العمل على توسيع معاهدها العليا لتحضير معلمي الاقطار الشقيقة .

*

بقيت ناحية أخيرة تستطيع الدول العربية ان تتعاون فيها لرفع مستوى المعلم من حيث الثقافة المسلكية وهي انشاء مجلة « المعلم العربي » يساهم في تحريرها نخبة من كبار المربين في مختلف الاقطار الشقيقة وتكون مرآة للنشاط العربي والغربي في حقل التربية والتعليم .

الكتاب

عندما نتحدث عن الكتاب في هذا الفصل انما نقصد الكتاب المدرسي ، واما سائر الكتب الادبية والعلمية القديمة والحديثة ، فقد افردنا لها بحثاً خاصاً في معرض حديثنا عن التأليف والترجمة في فصل آخر من فصول هذا الكتاب. وقبل ان نعرض لقضية التعاون في هذا الحقل نرى ان نبسط للقاري. بايجاز الحالة الراهنة للكتب المدرسية في الاقطار العربية ، فالمراكز الرئيسية لصناعة الكتب المدرسية هي القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد ، ونتاجها على وجه العموم مطابق للمناهج المختلفة في كل قطر ، وهو لا يصلح — الا فيما ندر — ليتخذ اساساً واحداً تستخدمه جميع البلدان على السواء ، يشذ عن ذلك بعض كتب القراءة العربية التي لا تسيطر عليها النزعة الاقليمية وبعض كتب القواعد . فلو تناولنا — على سبيل المثال — كتب الحساب في مختلف الاقطار العربية لوجدنا انها بالاضافة الى تباين مناهجها وترتيب ابحاثها ، تستعمل مقاييس نقدية مختلفة في تمارينها ، فالفلس والدينار في العراق ، والمليم والجنيه في مصر ، والقرش والليرة في سوريا ولبنان ، اضف الى ذلك اختلاف الاوزان بين الرطل والكيلو واختلاف المساحات بين الدنم والفدان وما اليها من فروق بين اليرد والذراع والمتر ، ونجد تبايناً كبيراً في المصطلحات العلمية الحسابية حتى البسيط منها . وما قلناه عن كتب الحساب يصدق الى حد بعيد على كتب الهندسة والجبر والطبيعيات بمختلف فروعها والتاريخ والجغرافية وغيرها

واما كتب اللغة الاجنبية فهي على وجه العموم من وضع الاجانب ليتعلم فيها ابناؤهم في بلادهم ولم تؤلف خصيصاً لابناء الشرق ، فلم تراع فيها المشاكل الكثيرة والصعوبات الجمة التي يعانيها العربي في تعلم هذه اللغة الاجنبية بوصفه غريباً عنها .

وليست هذه الكتب بمجموعها من الاخراج بدرجة تساير فيها نهضة التأليف المدرسية الغربية التي تنزع الى التصوير والتلوين وابراز الكتب بحلة فنية قشيبة . ولعل الكتب الانكليزية والاميركية اتقن من سواها من حيث السخاء وجودة الورق والعناية بالصور والتلوين مما يجعلها محببة الى قلوب الطلبة مغرية على مطالعتها .

*

والمكتبة المدرسية العربية فقيرة جداً في كتب المطالعة والثقافة العامة للناشئين في مرحلتي الدراسة الابتدائية والثانوية ، ولولا جهود الاديب الاستاذ كامل الكيلاني الذي اتحف الاطفال واليافعين بمجموعة متقنة مما ألفه أو ترجمه أو اقتبسه من الحكايات الطريفة المشقفة ، ولولا افراد قليلون نهجوا نهجه في مصر ، لقلنا ان الناشئة تكاد تكون محرومة من اداة المطالعة التي تغذي معلومات الطالب وتوسع مداركه وافق تفكيره .

اليس مما يدعو الى الأسف حقاً ان تقتصر مطالعة الناشيء العربي على كتاب القراءة المدرسي الذي يستطيع تلاوته في يوم او يومين ؟ ثم كيف نعود الاحداث المطالعة اذا لم نيسر لهم الكتب المتناسبة مع مداركهم ؟ وهل يجوز ان نسمح لليافعين بمطالعة « تغريبة بني هلال » و « علي الزيبق » والطبعات الرديئة من « الف ليلة وليلة » او « عنترة » فتفسد اخلاقهم وتضعف ملكة اللغة عندهم ؟ او نتركهم ضحية الروايات البوليسية والغرامية

باسلوبها الركيك المضطرب ونواحيها الخلقية المزيلة !

هذه كلها امور جديرة بالعناية ومجال التعاون فيها بين الاقطار العربية فسيح كما سنبينه في هذا الفصل .

*

نعود الى الكتاب المدرسي لنرى موقف الاقطار العربيـة المتعاونة منه . فنحن نرى ان توحيد الكتاب مشروع فاشل من اساسه ، لان المنـاهج لن تكون موحدة الا في خطوطها الكبرى واتجاهاتها العامـة ، فمن العبث اذن ان نحاول وضع كتاب موحد للبلدان العربية في كل مادة من مواد الدراسة . ونحن نذهب الى ابعد من ذلك فنقول ان البلد الواحد ذا المنهاج الموحد ، لا يجوز ان يدرس ابناؤه في كتاب موحد تفرضه وزارة المعارف في ذلك القطر دون سواه ، على المدارس الرسمية والخاصة ، لان عملاً كهذا من شأنه ان يقضي على نتاج التأليف المدرسي وعلى التنافس بين المؤلفين ، وما ينشأ عن هـذا التنافس من ابتكار وتجديد في الكتب . واسنا من رأي العلامـة الحصري الذي يطلب ان تؤلف الحكومة لجاناً خاصة لتأليف الكتب المدرسية وطبعها على نفقة الدولة .

والوسيلة المثلى عندنا ان تحدد الحكومة المنهاج وتترك التأليف حراً بين الاساتذة ، ثم تدرس اللجان الخاصة ما يقدمه المؤلفون اليها من كتب وتختار منها ما تجده مطابقاً للمنهاج متفقاً مع روحه ، وتضعه في لائحة الكتب التي يجوز استعمالها وتحظر تدريس اي كتاب غيره . وليس ثمة ما يمنـع وزارة المعارف من قبول عدة سلاسل في تدريس الحساب مثلاً ، اذا كانت هـذه جميعها متفقة مع المنهاج حديثة الاسلوب ، وتـترك حرية انتخاب السلسلة الى ادارة المدرسة بالاتفاق مع اساتذة المادة .

اما ان تتولى الحكومة طبع هذه الكتب المقررة ونشرها على نفقتها ، بعد ان تشتري الحقوق من المؤلفين ، فخطة لها محاسنها ولها مساوئها . فمن حسناتها انها تضع حداً للاستغلال التجاري وتستطيع الانفاق على الكتاب — ولو ادى ذلك الى خسارة — ليبدو في حلة قشيبة ، وان الكتاب يباع باكلافه فيستفيد الطالب من رخص الثمن . ومن سيئاتها انها تقضي على المنافسة المشروعة بين الناشرين وما ينجم عنها من تسابق الى الاتقان في الاخراج والتجديد المستمر في كل طبعة جديدة . وعلى كل فان القضية مادية بحتة وليست من اختصاصنا .

وبعد فقد اوشكنا ان نخرج عن صدد التعاون بين الاقطار العربية في الكتب المدرسية . فلنعد اذن الى بحث اوجه التعاون الممكنة في هذه الناحية . فاذا كان توحيد الكتاب مستحيلا فان هذا لا يمنع تبادل التآليف المدرسية التام المنظم بين البلدان العربية . فيجب ان يزود كل قطر عربي كل قطر آخر بنماذج ومجموعات كافية من كل ما يصدر عنه من كتب مدرسية ، ليقرر استعمال ما يمكن تقريره منها وليستفيد المؤلفون من اساليبها في تحسين كتبهم ، على ان تراعى في هذه الاستفادة حقوق المؤلفين الاصليين . ولعل هذا التبادل اسهل سبل التعاون وهو لا يحتاج الى كبير عناء .

على ان التعاون الحقيقي — كما نفهمه — يجب ان يشمل نواحي ثلاثاً رئيسية هامة :

الاولى : مكتبة المطالعة . والثانية مجلة للصغار الذين تتراوح سنهم بين الثامنة والرابعة عشرة . والثالثة : وسائل الايضاح من خرائط وصورات الخ .

مكتبة المطالعة

اشرنا فيما سبق الى خلو مكتبة الطلبة في المرحلتين الابتدائية والثانوية من

كتب المطالعة الاضافية ونحن نرى ان تتعاون الاقطار العربية في العمل على سد هذه الثغرة في جهازنا الثقافي فترصد الاعتمادات المالية اللازمة لانشاء صندوق مشترك ، تشرف عليه لجنة مشتركة ، تنحصر مهمتها في تشجيع المربين والادباء والعلماء على وضع كتب المطالعة للاحداث واليافعين ، وتتعهد هي بطبعها طبعاً متقناً انيقاً وتتولى نشرها بين الاقطار العربية .

اما المواضيع فيجب ان تكون منوعة فتشمل الحكايات والاساطير وتراجم الابطال والرحلات الجغرافية ، والروايات التاريخية ، وسير كبار العلماء والمخترعين ، وتبسيط القضايا العلمية الحديثة ، والقصص الادبية ، وروائع الشعر القديم والحديث ، وغير ذلك من نواحي الثقافة العامة التي لايجدها الطالب في كتبه المدرسية الجافة ، ويشترط في وضعها سهولة الاسلوب وصحته ، ومراعاة سن الطالب ومداركه ، وكثرة الرسوم والصور ، واتقان الاخراج الى ابعد حد ممكن .

هذا واني واثق من ان مشروعاً كهذا المشروع ، تتبناه الحكومات العربية وتهيىء له اسباب النجاح سيلاقي اقبالا عظيما من الناشئة المتعطشة الى المطالعة .

ويشترط ايضاً ان تباع هذه الكتب باثمان زهيدة لا تنوء بها موازنة الطالب المحدودة ، فلا يجوز اذن ان تنتظر الحكومات المشتركة في تحقيق هذا المشروع اية فائدة مادية من ورائه ويكفيها انها ساهمت في سد نقص كدنا نتفرد به بين امم الارض .

مجلة للاصغار

هذه المكتبة — اذا أتقنت — ضمنت للطالب العربي الناشىء ثقافة عامة متنوعة واطلعته على طائفة صالحة من المعلومات غير مقيدة بمكان او زمان ،

فبين الكتب التي سوف تصدرها هذه المكتبة اسفار قديمة يعاد نشرها باسلوب حديث ، وحكايات تاريخية او رحلات جغرافية أو سير للابطال او حقائق علمية مبسطة ، وهذه بمجموعها ليست متصلة اتصالا مباشراً وثيقاً بحاضر العالم المتطور بين يوم ويوم او شهر وشهر . وعندي ان ثقافة الطالب العامة تظل ناقصة اذا لم تشفع بنشرة اسبوعية او شهرية تحيط الناشىء علماً بما يجري حوله في الدنيا من تقدم واختراع ومغامرات البطولة وحوادث الكون وجهود الفتيان امثاله في العالم العربي والغربي .

اليس في امكان الدول العربية ان تتعاون في اصدار مجلة شهرية او نصف شهرية على غرار مجلة « المختار من مجلة « ريدرز ديجست » تحتوي على ترجمة احسن المقالات والبحوث والقصص المنشورة في مئات مجلات الفتيان في اوروبا واميركا ، وتضم مقالات متنوعة لاعلامنا في مواضيع طريفة سهلة من شأنها ان تمتع القارىء في الدرجة الاولى ، وان تثقفه دون ان تتخذ اسلوب الوعظ والارشاد الممل ، وان تعزز الروابط والصلات بين الفتيان في الاقطار العربية بما ترويه من طريف انبائهم ومظاهر نشاطهم ؟

اني اعترف بان مشروع « المختار » للصغار يحتاج الى اضعاف ما تبذله مجلة « المختار » الكبرى من جهود ، ولكن نجاحه مضمون اذا توفرت له العناصر الأدبية والمادية اللازمة . ولن يكون حظ هذه المجلة الجديدة من الاقبال بأقل من اية مجلة عربية ، هذا اذا لم تكن اعظم نشراتنا قاطبة رواجاً وانتشاراً ، بشرط ان تكون رخيصة الثمن — بسعر « المختار » وحجمه اذا امكن — حتى لا تحول الاسباب المادية دون وصولها الى كل ناشىء عربي بين الثامنة والرابعة عشرة .

ان تحقيق هذه الفكرة معناه انشاء مدرسة متنقلة يتثقف بها كل فتى

عربي يعرف القراءة ومعناه التقريب بين الفتيان العرب وهذا هو التعاون الثقافي باسمى معانيه !

وسائل الايضاح

العالم العربي فقير في وسائل الايضاح التي تيسر مهمة المعلم في القاء دروسه وتجعل المادة في متناول فهم الطالب . وتتألف هذه الوسائل من كل ما يستطيع الاستاذ جلبه الى حجرة الدرس ليستعين به على اكساب بحثه طابعاً عملياً يقربه من حواس الطلاب ومداركهم كالخريطة في درسي الجغرافيا والتاريخ ، وصور اعضاء الجسم البشري في درس علم اعمال الاعضاء ، او صور الحيوانات والنباتات في دروس الاشياء ، وما تحتويه المختبرات الطبيعية والكيمائية في دراسة العلوم الطبيعية وعلم جرا .

وبديهي ان صنع هذه الوسائل بشكل متقن يحتاج الى نفقات وتكاليف لا يستطيع تحملها الافراد ، وعلى الخصوص ما كان منها متعلقاً بالطباعة الملونة ، لان رواجها غير مضمون . فمن واجب الدول العربية ان تتعاون في تجهيز المدارس بهذه الوسائل فتساهم جميعها مادياً في مشروع يضمن تحضير المصورات الجغرافية السياسية والطبيعية والاقتصادية الجدارية والمصغرة لكل قطر من الاقطار العربية وللعالم العربي ، ولجغرافية العالمين القديم والجديد الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، وتحضير المصورات التاريخية لتاريخ كل قطر عربي ، ولمراحل التاريخ العربي المشترك ، وللتاريخ العام القديم والمتوسط والحديث والمعاصر ، وطبع الصور بالوانها الطبيعية لاعضاء الجسم البشري والنباتات والحيوانات وما شابهها . ويجب ان يشمل هذا المشروع تجهيز المدارس بصور ملونة جدارية للآثار العربية التي تبعث في النش. ذكريات تاريخه المجيد ، وتطلعه على روعة الفن العربي في شتى مراحله .

ولا شك في ان تحقيق مشروع عظيم كهذا ، يتطلب ان تشرف عليه نخبة ممتازة من اساطين التاريخ والجغرافية والفنون في الاقطار العربية ليجيء صحيحاً كاملا من الوجهة العلمية قبل ان تتناوله يد الطباعة ، ولا شك في ان هذا العمل يتطلب جهداً عظيماً ووقتاً ليس باليسير ولكن هذه الصعوبات جميعها تذلل اذا تضافرت جهود الحكومات العربية منذ الان على تحقيقه .

تنظيم المعادلات بين الشهادات

لعلنا لا نعدو الحقيقة حين نجزم بان أولى العقبات التي تحول اليوم دون التعاون الثقافي بين الاقطار العربية هي قضية المعادلة بين الشهادات ، فالحكومة المصرية لم تعترف رسمياً بعد بشهادات لبنان ، كما ان حكومة سوريا لم تعترف بشهادات العراق ولا تزال الاقطار العربية تتخبط في فوضى الشهادات ، ولذلك فان تبادل البعثات – وهذا ابسط انواع التعاون واقربها – لا يمكن ان يتخذ شكلا منظما ما لم تسوّ مشكلة المعادلات بين الشهادات العربية .

واذا كان ثمة قضية يجب انجازها بسرعة قبل ان ينفرط عقد اللجان الفرعية في القاهرة ، فهي قضية المعادلة بين الشهادات الثانوية (البكالوريا) واذا كان ثمة قضية يسهل الاتفاق عليها حالاً فهي قضية المعادلة ايضاً ، لان هناك تقارباً طبيعياً في المستوى العلمي بين المناهج فلا داعي لتأجيل البت فيها الى ان تنجز اللجنة تنظيم المناهج .

ولعلنا نسهل مهمة اللجان عندما نذكرها بالحقائق التالية :

١ – ان المعاهدة الثقافية المصرية العراقية اعترفت في مادتها السابعة بتعادل الشهادتين الابتدائية والثانوية في القطرين .

٢ – وقد سبق للحكومة المصرية ان اعترفت بالشهادة الثانوية التي تمنحها كلية المقاصد الاسلامية في بيروت على انها معادلة للبكالوريا المصرية .

٣ – ولا ريب في ان كلية المقاصد تطبق منهاج البكالوريا اللبنانية

بجدافيره فشهادتها معادلة اذن لشهادة لبنان الرسمية ، وشهادة لبنان معادلة حتما لشهادة مصر .

٤ – وهناك نص قانوني متبادل بين لبنان وسوريا يجعل شهادتيهما الثانويتين الرسميتين متعادلتين .

فالتعادل اذن موجود في الواقع بين الشهادات الثانوية في مصر والعراق وسوريا ولبنان ولا ينقصه الا وضعه بالصيغة القانونية واشراك بقية الاقطار العربية التي تمنح شهادات ثانوية فيه ، وهذا ما نرجو ان تبت فيه اللجان الفرعية فيكون في طليعة مقرراتها ليتسنى للراغبين من شباب سوريا ولبنان وغيرهم الانتساب الى معاهد مصر العليا في العام الدراسي القادم .

*

هذه هي الخطوة السريعة الاولى التي يجب انجازها على الفور . على ان ثمة نواحي اخرى هامة يحسن ان تعالجها اللجنة وهي تنظيم المعادلات بين مختلف الشهادات الاخرى فيما بينها ، وتنظيم المعادلات مع الخارج ، وانشاء البكالوريا العربية .

ليس لنا ان نتوسع فيما ينبغي عمله تمهيداً للتوحيد بين الشهادات الابتدائية والثانوية فقد سبق لنا ان بحثنا ذلك في معرض حديثنا عن المناهج ، وقلنا ان توحيد الشهادات نتيجة طبيعية لتوحيد الخطوط الكبرى ومراحل الدراسة . على اننا نرى لزاماً ان نشير هنا الى ضرورة عقد مؤتمر جامعي تمثل فيه مختلف الجامعات العربية ، يبحث قضية التعادل بين الشهادات العليا كالليسانس والدكتوراه في الحقوق والاداب والعلوم والطب والهندسة وغيرها ، وازالة الحواجز والعقبات التي يشكو منها حملة الشهادات العليا والتي تحول في كثير من الاحايين دون استفادة قطر عربي من الاختصاصيين في الاقطار العربية الاخرى .

المعادلات مع الخارج

ينظر بعضهم الى التعاون العربي نظرة خاطئة عندما يصورونه صومعة عربية كبيرة يعتزل فيها العرب عن الغرب ، وينكمشون على انفسهم معتمدين على نتاجهم الثقافي الخاص .

هذه وصمة رجعية عقيمة لا يرتضيها العرب لانفسهم ، فهم يتطلعون دائماً وابداً الى الغرب يتعاونون معه ويقتبسون عنه خير ما في نهضته في ميادين العلم والفن والادب والصناعة والزراعة وسائر الشؤون الاقتصادية ، ويسايرون هذه النهضة باستمرار ، وعلى الخصوص في دنيا ما بعد الحرب التي ينتظر ان تزول فيها الحواجز والعقبات لتتضافر جهود البشر على ما فيه خير الانسانية جمعاء .

هذه النزعة التي يشعر بها العرب ، نزعة التجدد ، تحتم عليهم الاتصال الدائم بالمراكز الثقافية الغربية عن طريق البعثات اليها ، فيكون للعرب شباب يتابعون دراساتهم العالية على اختلاف انواعها والوانها في جامعات بريطانيا واميركا وفرنسا وروسيا واوروبا الوسطى ، دون اي تمييز بينها ، فالعلم ملك الانسانية جمعاء. فلا يجوز ان يصبغ بلون سياسي ولا يجوز ان يحتكره قوم دون آخرين .

وبعد فكيف يتسنى لشبابنا الانتساب الى معاهد الغرب العليا بعد اتمام دراساتهم الثانوية في وطنهم ، ما لم يكن ثمة اتفاقات بين العرب ودول الغرب على اعتبار البكالوريا العربية معادلة لمثيلاتها في مختلف الاقطار ، فيستطيع ابن القاهرة مثلا الالتحاق بجامعة كاليفورنيا وابن بغداد الانتساب الى السوربون ؟

هذه خطوة يجب ان تخطوها جامعة الدول العربية فتشرع منذ الان في مفاوضات ثقافية مع وزارات المعارف الغربية والجامعات ، هدفها تسهيل انتساب

شبابنا الى المعاهد الغربية العليا ، وان يتم هذا الا بتنظيم المعادلات بين البكالوريا العربية وزميلاتها عند الامم المختلفة .

البكالوريا العربية

قلنا في حديثنا عن الشعوب العربية المتعاونة (ص ٢٩) ان علينا واجباً ثقافياً نحو اخواننا في الاقطار العربية التي لم يتح لها — لظروف خاصة — الاشتراك في جامعة الدول العربية ، ودعونا الى انشاء المدارس فيها عن طريق الجامعة ، والى تنشيط النهضة العربية الثقافية التي يقوم بها ابناء هذه البلاد أنفسهم . ونحن نرى ان تتوج الدراسة الثانوية في هذه الاقطار بشهادة محترمة تمنحها الجامعة بعد ان تنظم لهذا الغرض امتحانات عامة سنوية ، على غرار ما تقوم به فرنسا في الشرق لنشر الثقافة الفرنسية ، فهي توفد اللجان من فرنسا الى مصر والعراق وسوريا ولبنان وغيرها لاجراء امتحانات البكالوريا الفرنسية ، ويمنح وزير معارف فرنسا الناجحين شهادة البكلوريا الفرنسية وغيرها من الشهادات ، فيتاح لحامليها الالتحاق بجامعات فرنسا دونما امتحان .

ولن يطلق على هذه البكالوريا اسم قطر من الاقطار العربية ، بل ستدعى « البكالوريا العربية » وينظم لها منهاج خاص مستوحى من مناهج الاقطار العربية معادل لها في مستواه العلمي ، وينظم الامتحانات السنوية المركز الرئيسي للمكاتب الثقافية الدائمة ويوفد اللجان الى مختلف الانحاء العربية للاشراف على الفحوص ، ومنح الناجحين البكلوريا العربية .

ان في تحقيق هذا المشروع الخطير فوائد عديدة اهمها انه يسهل لابناء الاقطار العربية المحرومة من المساهمة في الجامعة ، الانتساب الى المعاهد العربية العليا والمعاهد الاجنبية العليا ايضاً بموجب المعادلات المنتظر عقدها مع دول

الغرب ، وهو فوق ذلك يفسح المجال امام ابناء هذه البلدان المحرومة ان يحضروا بأنفسهم وعلى اساتذة خصوصيين منهاج البكالوريا العربية والتقدم الى امتحاناتها ثم الالتحاق بالجامعات العربية ، وفي هذا العمل خير كثير ، وتوثيق عظيم للصلات الثقافية والروحية بين هذه الاقطار والعروبة الأم .

البعثات العلمية

لم تعنَ امة من الامم عناية الامة العربية بالرحلة في طلب العلم ، ولم يحفل تاريخ العالم بمثل ما حفل به التاريخ العربي من انباء العلماء الذين تركوا ديارهم نازحين الى الاقطار النائية طلباً للعلم في زمن كانت اسباب المواصلات فيه متعذرة وكان المسافر يستهدف شتى الوان المغامرات والاخطار ، لا يبتغي من شقائه وعنائه اجراً ، بل يطلب العلم للعلم مجرداً عن كل مغنم أو منفعة .

ألم يرحل ابو العلاء من المعرة الى بغداد ليتعرف الى شيوخها وعلمائها ، فتعرض القوصان للسفينة في الفرات ونهبوها وتركوا ذلك الضرير مجرداً من كل ما يملك ملقي على شاطئ النهر ؟ ألم يرحل فريق من أبناء الاندلس الى العراق ليتعرفوا على الجاحظ في البصرة ويدرسوا عليه ؟ ألم يجب علماء الحديث مجاهل الصحراء بحثاً عن اعرابي يحفظ حديثاً نبوياً ؟ ألم تكن جامعات بغداد وقرطبة والقاهرة تعج بالطلبة من مختلف الاقطار العربية والغربية فكانت حلقاتهم العلمية مظهراً رائعاً من مظاهر التعاون الثقافي ؟

كل ذلك يدل على ان العرب ادركوا منذ القدم فائدة الرحلة في طلب العلم ، فكان اول من دعا اليها العلامة ابن خلدون في مقدمته وحض عليها ، واعتبرها عنصراً رئيسياً في تكوين الثقافة العامة فقال :

« ان البشر يأخذون معارفهم واخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب

والفضائل تارة علماً وتعليما وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة ، الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاماً واقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها . والاصطلاحات ايضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا تدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المتعلمين . فلقاء اهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ، ويعلم انها انحاء تعليم وطرق توصيل ، وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات . ولهذا فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال[1] »

هذه الرحلة في طلب العلم او البعثات العلمية في مصطلحنا الحديث ، اسدت أجلّ الخدمات للحضارة الانسانية عامة ، وكانت عاملاً فعالا في نهضة كل امة من الامم . وقد ادركت الشعوب في مطلع حركاتها الاصلاحية اثر هذه البعثات في تهيئة اسباب النهضة . ولنا في التاريخ شواهد كثيرة على ذلك فان بطرس الكبير قيصر روسيا حاول ان يقتبس صناعة الحرب عن الدول الاوروبية فأوفد البعثات الى مختلف الانحاء ورحل معها بشخصه تمهيداً لبناء اسطوله وتجهيز جيشه . وهذا باني مصر الحديثة وباعث نهضتها المغفور له محمد علي يوفد البعثات الى العواصم الاوروبية ليتخصص اعضاؤها في شتى نواحي العلوم والفنون والصناعات ، وما هذه الثمار التي تجنيها مصر اليوم الا نتيجة لتلك الغرسة المباركة التي غرسها محمد علي — عن طريق البعثات العلمية — وتعهدها ابناؤه واحفاده من بعده .

ولعل اليابان اكثر دول الشرق الحديثة عناية بالبعثات العلمية ، فهي مدينة

(١) مقدمة ابن خلدون الجزء الثالث ص ٢٦٧ (طبعة باريس)

الى حد بعيد في نشاطها الصناعي والتجاري المعروف الى ه ه ض ، بعثاتها في اوروبا واميركا وما اقتبسوه من تقدم الغرب العلمي في الحقل الاقتصادي ، فاصبحت لها صناعات تنافس في كثير من النواحي المنتوجات الغربية .

فاذا ولت الشعوب العربية وجهها شطر البعثات فهي انما تنهج عملها هذا نهجاً علمياً صحيحاً وتأخذ باسباب النهضة من اقرب سبلها واقومها واضمنها نتيجة . وينبغي للاقطار العربية أن تتجه في هذه البعثات نحو الشرق والغرب في وقت معاً ، فلا تكتفي بايفاد الشباب الى الحواضر العربية بل ترسل نخبة صالحة منهم الى عواصم الغرب ، وبوسع الدول العربية ان تتعاون في كلتا الناحيتين على السواء .

وقد يخيل الى البعض ان فوائد البعثات العلمية تنحصر فيما يكتسبه اعضاؤها من علم او تجربة يعودون الى بلدهم وينشرونه فيها ، ولكن للبعثات — فيما اعتقد — فوائد اخرى لا تقل قيمة عن الاولى وهي انها وسيلة هامة من وسائل التعارف بين شباب الاقطار العربية وسبب قوي من سباب تعزيز الروابط بينهم ، فالعراقي الذي يتابع تحصيله العالي في مصر يعتبر مصر وطناً ثانياً له ، والمصري الذي يدرس في جامعة دمشق يعتبر سوريا وطناً ثانياً له ، ومتى تم هذا التعاون على نطاق واسع توثقت اسباب الالفة بين الاقطار العربية وهذا ما ينشده المخلصون .

*

ذكرنا آنفاً ان الحكومات العربية تستطيع التعاون على السواء في تبادل البعثات العلمية فيما بينها ، وفي توجيه بعثاتها الى الخارج ، وها نحن نتناول الناحية الاولى :

تبادل البعثات بين الاقطار العربية — « كوتا العلم »

ليس في بلدان الشرق الاوسط من لم يسمع « بالكوتا » في الحقل الاقتصادي ، فهي اليوم « مائتة الدنيا وشاغلة الناس » ، ومعناها ، فيما نعلم ، نصيب كل قطر من اقطار الشرق الاوسط ، من السلع التي يستطيع استيرادها من البلدان الحليفة في اوروبا واميركا وآسيا ، مع مراعاة صعوبات النقل وحاجات البلدان الحليفة الاقليمية وما يتطلبه منها المجهود الحربي من جهة ، وما يحتاجه البلد الشرقي ، مفضلين الضروريات على الكماليات ، من جهة اخرى ، فيميز مثلا استيراد العقاقير الطبية على ابر « الفونوغراف » ، والسلع الخفيفة الوزن الصغيرة الحجم على سواها .

وفي القاهرة ادارة كبيرة اطلق عليها اسم مركز التموين للشرق الاوسط ومهمتها تنظيم هذه الشؤون وتنسيقها بين مختلف الاقطار الشرقية ومراكز الانتاج في الدول المتحالفة ، وتوجيهها نحو الخير فلا تستغل وياء استعمالها في سبيل المنافع الخاصة .

ولعلي لست مخطئاً في التشبيه عندما اقول في معرض حديثي عن البعثات ، ان ثمة « كوتا » علمية بين الاقطار العربية المتعاونة ، وان على المكتب الثقافي الدائم في القاهرة توزيعها بالعدل والقسطاس بين البلدان الشقيقة مراعياً في ذلك الامكانيات والحاجات الثقافية في كل بلد متعاون ، فلا يكون تبادل البعثات العلمية مظهراً من مظاهر الفوضى ، بل يخضع لخطة مرسومة مبنية على دراسة علمية صحيحة للحالة الثقافية الراهنة في مختلف الاقطار العربية . ولن يتم توزيع « كوتا » العلم ما لم تعد كل حكومة عربية تقريراً ضافياً يحتوي على الحد الاقصى لما تستطيع قبوله في معاهدها العليا والثانوية من طلاب الاقطار الاخرى من جهة ، ويحتوي على ما تشعر بانها في حاجة ملحة

الى ايفاده من بعثات الى الاقطار الشقيقة من جهة ثانية . ومتى تم وضع هذه التقارير ، وزعت مقاعد الدراسة على ضوئه ، فاذا كانت مصر مثلا ، قادرة على قبول ١٠٠ طالب في معهد التربية لاعداد المعلمين ، فان مهمة المكتب الثقافي الدائم تنحصر في توزيع هذه « الكوتا » بالعدل بين حكومات الاقطار المتعاونة مراعية في ذلك المستوى الثقافي في كل اقليم مفضلة الحاجات الملحة السريعة على سواها .

*

واني مورد فيما يلي بعض الملحوظات العامة على تبادل البعثات راجياً ان يعيرها المندوبون اهتمامهم في اثناء معالجتهم لهذه الناحية الخطيرة من التعاون الثقافي :

١ — ان تكون جميع البعثات على اختلاف انواعها مرتبطة بالحكومات العربية مباشرة ، فلا تقبل حكومة ما طالباً ينتمي الى حكومة اخرى ، في معاهدها الرسمية ، الا عن طريق وزارة معارف تلك الحكومة . والقصد من هذا التدبير الاستفادة من المقاعد الشاغرة في السبيل التي تتطلبه المصلحة العامة لا مصلحة الافراد .

٢ — تفضيل بعثات اعداد المعلمين على سائر البعثات لان الاقطار العربية بمجموعها في حاجة الى اساتذة فنيين ، على ان تزول هذه الافضلية تدريجياً بمرور الزمن .

٣ — ترفض الحكومات المتعاونة — مؤقتاً — قبول كل طالب يستطيع اتمام دراسته العليا في بلده ، لكي يفسح المجال امام الطلبة الذين ليس في بلادهم معاهد عليا لمتابعة تحصيلهم .

٤ — من المستحسن ان يراعى في اختيار اعضاء البعثات تفضيل الشباب الناضجين الذين مارسوا الحياة العملية في التدريس او الادارة مدة من الزمن

بعد انهاء تحصيلهم الثانوي ، على زملائهم المتخرجين الجدد ، فقد ثبت بالتجربة ان المتمرنين اقدر من الجدد على تفهم الغاية من البعثات ، وأحرص منهم على الاستفادة من سوانحها .

٥ – تشويق النخبة الصالحة من الشباب للاقبال على الالتحاق بالبعثات بمنحهم شروطاً حسنة مادية ومعنوية عقب عودتهم ، والا أحجم النابغون وضاعت الفائدة المنشودة .

٦ – الاتفاق على اتخاذ جميع التدابير المادية والمعنوية التي من شأنها ان تسهل لاعضاء البعثات سفرهم ، والتحاقهم في الاوقات المناسبة بالمعاهد العليا واقامتهم وسائر شؤون معيشتهم .

٧ – يناط أمر الاشراف على البعثات من الناحيتين العلمية والخلقية بفروع المكتب الثقافي الدائم في كل حاضرة من حواضر العالم العربي ، ويوصى هذا المكتب بتنظيم برامج لاعضاء البعثات تساعدهم على التعرف الى مختلف نواحي النشاط خارج المعهد ، فلا تكون ثقافتهم قاصرة على الناحية المدرسية الضيقة بل يستفيدون من كل مناسبة ممكنة في فهم بيئتهم الجديدة واقتباس الصالح منها ، والتعرف الى رجالات البلد وشخصياته العلمية البارزة ، وتوثيق عرى المودة بين الشباب العرب عن طريق الحفلات والحياة الاجتماعية المشتركة .

*

ولسنا في حاجة الى التبسط في انواع البعثات العلمية الى الجامعات وكلياتها ومعاهد المعلمين ، ولكننا نرى لزاماً علينا ان نلفت نظر المندوبين في لجان القاهرة الفرعية الى ضرورة تعزيز البعثات المهنية ، وتحتل مصر المكانة الاولى من حيث وفرة معاهد الاختصاص المهني العالي ، ففيها كليات عليا للزراعة والتجارة والصناعة والفنون الجميلة ، وهذه غير موفورة الآن في بقية الاقطار العربية ، فيستحسن

ان تتخذ التدابير السريعة مع الشقيقة الكبرى مصر لقبول اكبر عدد ممكن من الطلاب العرب في هذه الكليات ، كما ان في مصر والعراق مدارس حربية راقية ومعاهد للشرطة والدرك فيحسن ان تستفيد منها الدول العربية الناشئة في تنظيم شؤون الدفاع والامن فيها .

*

اما التعاون بين العرب في البعثات الى الخارج فامر يحتاج الى تنسيق حتى تكون الجهود منسجمة فلا يحدث تضخم في ناحية من نواحي الاختصاص ، وقحط في النواحي الاخرى ، فليس من الضروري ان يختص رجال كل قطر في وقت واحد في الجامعات الغربية في علم الآثار والعاديات والقانون والاداب والفلسفة واللغات القديمة وفن القتال ، والهندسة وعلم المعادن والزراعة والميكانيك ومختلف الصناعات وما اليها من انواع التخصص ، لان امثال هذه البعثات تكلف موازنات الدول مبالغ قد لاتتحملها ، ولذلك يحسن ان توزع هذه النواحي بين الحكومات العربية وفقاً لمقدرتها ودرجة احتياجها ، على ان تتعاون هذه الدول فيما بينها بتبادل الخبراء والاساتذة لسد النقص الناشيء عن هذا التوزيع ، ريثما يتسنى عملياً لكل قطر ان يختص ابناؤه في كل ناحية من نواحي الاختصاص

تبادل الاساتذة

نستطيع تقسيم التعاون الثقافي القائم على تبادل الاساتذة الى ثلاثة انواع :

١ – تبادل الاساتذة المنتدبين ·

٢ – تبادل الاساتذة الزائرين ·

٣ – تبادل الخبراء الفنيين ·

وسنحاول في هذا الفصل بيان ما يحسن تنظيمه في كل ناحية من هذه النواحي الثلاث ·

الاساتذة المنتدبون

نقصد بالاساتذة المنتدبين البعثات التعليمية التي توفدها حكومة من الحكومات العربية الى قطر شقيق للاضطلاع بمهام التربية والتعليم فيه ، ولا شك في ان مصر تقوم اليوم بالدور الرئيسي في هذا المضمار ، فهذه بعثاتها تنتشر في العراق ولبنان والمملكة العربية السعودية وهي تسدي الى الناشئة العربية خدمات تهذيبية جلى وتسدُّ فراغاً عظيماً في الجهاز التعليمي في هذه البلدان · وقد نصت المادة الرابعة من المعاهدة الثقافية المصرية العراقية على طريقة تنظيم البعثات التعليمية المصرية الى العراق والشروط الاجمالية التي ينبغي ان يعامل بها هؤلاء الاساتذة المنتدبون من حيث المرتبات والمناصب والتقاعد والترقية ، ويوسع الحكومات العربية الاخرى اذا شاءت ان تنضم الى هذه المعاهدة وتتبنى هذا التنظيم · على ان لنا بعض الملحوظات نود ان يعيرها

المندوبون في لجان القاهرة الفرعية بعض اهتمامهم :

اولا : كانت بعض الحكومات العربية فيما مضى تستخدم في مدارسها اساتذة من الاقطار الشقيقة وترتبط معهم بعقود مؤقتة دون ان تستشير في عملها هذا وزارة المعارف في تلك البلدان ، فلم يكن اختيارها في كثير من الاحايين موفقاً ، ونشأ عن ذلك انتداب جماعة للتدريس ليسوا من حيث الكفاءة والروح القومي أهلا الاضطلاع بالمهمة التي وكلت اليهم . فتفادياً للوقوع في مثل هذا الخطأ في المستقبل ، نرى ان يتفق المؤتمرون على صيغة قانونية تحظر تبادل الاساتذة بين الاقطار المتعاونة عن غير طريق وزارات المعارف . واسنا في حاجة الى بيان الفوائد التي تنجم عن اتخاذ مثل هذا القرار ، لان صاحب البيت ادرى بالذي فيه ، وهو اقدر من سواه على اختيار الاشخاص الاكفاء ، ولان انتداب الاستاذ عن طريق حكومته أضمن له من حيث الاستمرار في العمل والحصول على الشروط الحسنة .

ثانياً — كثيراً ما لاحظنا ان انتداب الاستاذ من قطر الى آخر يتطلب معاملات حكومية شكلية طويلة ، فكان الاستاذ يصل احياناً بعد بدء الدراسة في القطر الشقيق ، ولم يكن دائماً مطمئناً الى بقائه في منصبه الجديد فكان يعتبر عمله مؤقتاً ويعمل على هذا الاساس ، وكثيراً ما كان يتصل هذا الشعور الى الطلاب فتتسرب اليهم نزعة التهاون .

هذه ملاحظات أملتها علي التجربة وعانيت من جرائها صعوبات كادت في بعض الاوقات تقضي على الفائدة المنشودة من التعاون . ولذلك أرجو ان تزال جميع العقبات المؤدية الى البطء في سير الامور ، وأن تكون المدة التي ينتدب خلالها الأستاذ للتدريس في قطر شقيق غير محددة بأجل معين ، واذا تحتم تحديدها فليكن لمدة ثلاث سنوات أو خمس على اقل تعديل لكي يتاح للمعلم

ان يؤدي عملاً مثمراً تظهر فيه آثار جهوده في تأسيس الطالب ومتابعة تعهده خلال تدرجه في سنوات الدراسة .

ثالثاً — للاستاذ المنتدب رسالة وطنيـة هي في نظرنا أسمى من رسالته العلمية ، فيستحسن اذن ان يُراعى في اختيـار البعثات التعليمية الاشخاص المخلصون لمبدأ التعاون العربي الذين يستطيعون ان يمثلوا بلدهم خير تمثيـل ، فيأخذ الطالب عنهم صورة صحيحة صادقة للبلد الذي ينتمون اليه . وان نجاح التعاون يتوقف الى حد بعيد على مدى النجـاح في اختيار هؤلاء « السفراء الثقافيين » .

رابعاً — يستحسن ان يلفت نظر القطر المساعد الى ان الاستاذ المنتدب لا يستطيع اداء واجبه على الوجه الاكمل اذا كانت جهوده موزعة بين المدرسة وبين تدبير شؤون المعيشة والسكن في بيئة جديدة عليه وعلى أسرته اذا كان متزوجاً وله اولاد . وبقدر ما تبذله الحكومة في سبيل الترفيه عليه ، تكون الاستفادة من نشاطه وانصرافه الكلي الى واجبه المدرسي .

الاساتذة الزائرون

تلجأ الجامعات الاميركية والاوروبية الى تعزيز الصلات الثقافية فيما بينها عن طريق تبادل الاساتذة الزائرين ، كأن ينتدب استاذ من اعلام التـاريخ في جامعة هارفرد مثلاً للتدريس حقبة من الزمن في جامعـة شيكاغو او برنستون ، ولا تتوخى الجامعات من هذا الانتداب او التبـادل الاّ ما ينتج عنه من فوائد ء للاستاذ نفسه وللمعهد ، فيستفيد شباب الجامعة من آراء الاستاذ الضيف ونظرياته الحديثة ، كما ان الاستاذ يفيد بدوره من بيئتـه الجديدة بما فيها من مراجع علمية ومعامل ومختبرات وتقاليد ، اختبارات تزيد في مقامه العلمي . ويجب ان يعلم القارئ ان الاعتبارات المادية لا قيمة لهـا

في هذا التبادل بتاتاً ، وانما الهدف الرئيسي هو التعاون بين المراكز الثقافية الكبيرة فاذا احتاجت جامعة عالماً اختصاصياً في مادة من مواد الدراسة استعارته من جامعة شقيقة لمدة محدودة ريثما يتسنى لها ايجاد الاستاذ الدائم .

وقد نصت المادة الخامسة من المعاهدة الثقافية المصرية العراقية على تعهد الفريقين المتعاقدين بتبادل الاساتذة الزائرين لسنة دراسية قابلة للتجديد او اقل ، مع مراعاة حقوق الاستاذ من حيث المرتب والتقاعد والترقية .

ولا شك في ان الفرق بين الاستاذ المنتدب والاستاذ الزائر قائم على ان البلد لا يستطيع الاستغناء طويلا عن الاستاذ الزائر الذي يكون عادة من اهل الاختصاص الافذاذ النادرين ، فينتدبه موقتاً ولاجل قصير الى القطر الشقيق ، لالقاء محاضرات معينة في دراسات امتاز بها هذا العلامة ، او لتوجيه التعليم في القطر المساعد وجهة فنية خاصة . هذا وقد جرت العادة في بلدان الغرب ان يكون هذا التبادل قاصراً على التعليم العالي ، على اننا لا نرى بأساً بان تنزل به في الاقطار العربية الى مستوى الدراسة الثانوية .

الخبراء الفنيون

لا تقوم نهضة صحيحة — مهما يكن نوعها — ما لم تكن مرتكزة على اسس متينة من العلم والفن والاختصاص ، وان كل محاولة اصلاحية لا تستند الى هذه العناصر الثلاثة مكتوب لها الفشل . لقد مضى ذلك العهد الذي كان فيه المرء يتولى بنفسه تنظيم الشؤون الزراعية والصناعية والتجارية والطبية والعلمية والادبية والتعليمية، كانه « سيد المفاتيح » يلج في كل قفل ويفتح كل باب، واصبحت الدنيا الجديدة دنيا الاختصاص بادق معانيه .

ومن العبث ان تقوم نهضة في الاقطار العربية ما لم يستعن كل قطر بالخبراء الفنيين ينظمون له كل ناحية من نواحي الحياة العامة . وان تنتظم شؤون

الثقافة بوجه خاص ما لم يشرف عليها خبراء فنيون . وقد ادركت مصر ذلك قبل سواها فاستدعت العلامة السويسري الكبير الاستاذ كلاباريد وعهدت اليه بدرس نظم التربية والتعليم فيها فوضع لها تقريراً هو آية من آيات الاصلاح التهذيبي . وشعرت العراق بحاجة الى خبير يدرس مواطن الخلل في نهضتها التهذيبية الاخيرة فاستدعت المربي الأميركي الكبير العلامة الدكتور مونرو الذي مكث مدة في العراق ووضع تقريره المشهور لذي رد عليه المربي الكبير العلامة الاستاذ ساطع الحصري . وما كادت سورية تنفض عنها غبار الانتداب حتى اتفقت مع الاستاذ الحصري ليدرس وجوه الاصلاح في المعارف السورية فوضع كتابه الممتاز « التقارير عن حالة المعارف في سورية واقتراحات لاصلاحها » وقد اقر البرلمان السوري مشروع القانون الذي ينظم فيه الاستاذ الحصري وزارة المعارف السورية ويحدد مهمتها واعمالها ويطالعه القارىء بكامله في آخر هذا الكتاب .

*

ان ميدان التعاون بين الاقطار العربية فسيح جداً ومثمر في تبادل الخبراء الفنيين في مختلف نواحي الاصلاح ، لان المشاكل التهذيبية في كل قطر متشابهة بل هي تكاد تكون واحدة ، فليستفد كل من خبرة البلد الاخر وخبرائه الفنيين قبل ان يولي وجهه نحو الغرب ، فهل ينظم المندوبون في لجان القاهرة الفرعية هذه الناحية الخطيرة من التعاون الثقافي ؟ . .

المجامع اللغوية والعلمية

الاقطار العربية حديثة العهد بالمجامع العلمية بالنسبة الى الغرب الذي يرجع بعض مجامعه العلميـة واللغوية الى مئات السنين . واقـدم مجمع علمي عربي — فيما نعلم — هو المجمع العلمي العربي في دمشق وقد أسس في عهد المغفور له فيصل الكبير منذ ربع قرن تقريباً ، ثم عقبه بعد اعوام مجمع علمي لبناني في بيروت كان يظهر ويختفي وفقـاً للسياسة المحلية وضغط الموازنة ، وانشأ المغفور له فوآد الاول مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة عام ١٩٣٣ ، ونذكر ان الاندية العلمية في العراق قامت بمحاولات عدة لتأسيس مجمع علمي في بغداد ولكنها لم تسفر عن أية نتيجة عملية .

ولا يزال في قيد الحياة — والأصح ان نقول في قيد الوجود فالحياة شيء والوجود شيء. آخر ! — مجمعان : المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي الملكي في القاهرة ، ولكل منهما مجلة او نشرة دورية تدون فيها مظاهر نشاطه . ويشترك المجمعان في صفة ويختلفان في صفة أخرى . فكلاهما لم يتقيد بالنزعة الأقليمية بل ضم في عداده نفراً من اعلام الاقطار العربيـة — والمستشرقين احياناً — ويختلفان في ان المجمع المصري لغوي صرف اغراضه كما تنص المادة الثامنة من مرسوم انشائه ان يحافظ على سلامة اللغة العربية وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر وذلك بان يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة او بغير ذلك من الطرق

ما ينبغي استعماله او تجنبه من الالفاظ والتراكيب ، وان يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وان ينشر ابحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها ، وان ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية ؛ في حين ان المجمع العلمي العربي الدمشقي عام يتناول شتى نواحي النشاط اللغوي العلمي والادبي والفني وغيره . وقد يختلفان في صفة رئيسية ثانية وهي ان الانضمام الى عضوية المجمع العربي الدمشقي سهلة وتكاد تكون في متناول اكثر الكتاب والادباء العرب في حين ان الالتحاق بالمجمع الملكي المصري خاضع لقيود شديدة صارمة .

*

والمجمع لأي علم او فن ، في الاساس ، هيئة عليا تتألف من أساطين العلم او الفن ، ومهمتها الاشراف العلمي او الفني على مظاهر النشاط في حدود الضوابط العلمية او الفنية ، وتسهيل اعمال المشتغلين بايجاد المصطلحات اللازمة او اقرار النظريات الجديدة او تفنيدها وتنشيط النهضة العلمية او الفنية بتتويج المؤلفات القيمة التي تصدر في كل عام ، ومنحها الجوائز والمكافآت .

ونجد عند الامم الغربية الراقية مجامع للعلوم او الفنون مستقلة عن مجامع اللغة ، ونجد جمعيات حرة غير مقيدة بالحكومات وهي تتولى في كثير من الاحيان أعمال المجامع الرسمية .

ونحن إذ نبحث التعاون بين الاقطار العربية في حقل المجامع اللغوية والعلمية نجابه قضيتين :

١ — هل نبقي لكل قطر مجمعه او مجامعه الخاصة أو نوحدها كلها في مجمع او مجامع مشتركة ؟

٢ – هل نؤسس مجمعاً لكل فرع من فروع العلم والفن ؟ او نكتفي بمجمع واحد يتناول شتى نواحي العلوم والفنون ؟

نحن ندعو الى الغاء المجامع الأقليمية لان في بقائها بلبلة علمية لا تطاق ، فاذا أقر مجمع دمشق امراً وناقضه مجمع بيروت أو بغداد ، عمت الفوضى التي نشكو منها الآن واصبحنا في حاجة الى « مجمع المجامع » ليكون الحكم الفصل في اوجه الخلاف . اضف الى ذلك ان كثرة المجامع تبعثر الجهود وتعرقل الاعمال وتكلف الاقطار العربية نفقات على غير طائل . ولو كانت القضايا التي يعالجها المجمع ذات صبغة أقليمية خاصة لما اعترضنا على تعدد المجامع ولكن ابحاثها تدور حول اللغة العربية والعلم والفن في مختلف نواحيها ، وهذه كلها قضايا عامة تشترك فيها البلاد العربية على السواء ، بل يجب توحيدها خدمة للعلم والفن واللغة .

المحسوبة المخلدونة

ونحن ندعو الى تأسيس مجمع موحد لمختلف نواحي النشاط الثقافي في الاقطار العربية ، فلا يكون ثمة مجمع للغة وثان للفنون وثالث للعلوم وهلم جراً بل يضم هذا المجمع ، الذي نرجو ان يطلق عليه اسم « المجمع العربي » ، ابرز الشخصيات العلمية والادبية واللغوية والفنية في البلدان العربية ، ويتعاون هؤلاء في توجيه جهود الكتاب والعلماء والمفكرين ورجال الفن في حدود الضوابط العلمية الصحيحة وتنشيط هذه النهضة في مظاهرها المتعددة .

وحجتنا في طلب المجمع العربي « الموحد » بالاضافة الى التوفير في النفقات ، ان جهود رجاله في بعض النواحي – كالمصطلحات – لا يمكن ان تثمر اذا كانت مستقلة ، بعضها عن بعض ، فالعالم اللغوي مثلاً لا يستطيع وضع مصطلح في علم النفس اذا لم يكن الى جانبه علماء ضليعون في البسيكولوجيا

الحديثة والقديمة ، ولن يتسنى له وضع مصطلح طبي ما لم يشترك معه في ذلك اعلام الاطباء .

وينقسم المجمع الى لجان موزعة حسب الاختصاص ، ومهمة كل منها بحث العلم او الفن المختصة فيه ، فتكون ثمة لجنة للادب ولجنة للتاريخ ولجنة للفلسفة ولجنة للرياضيات وأخرى للفنون الجميلة وهلم جراً .

لذلك يجب ان يراعى في تأليف هذا المجمع التنويع في اوسع حدوده ، والكفاءة والمقدرة على العمل ، فلا يكون مجمعنا العتيد مظهراً من مظاهر الكسل والشفاعة والارضاء . واما طريقة تمثيل الاقطار العربية فيه ، فلا تكون مقيدة بعدد معين من الاعلام يقدمه كل قطر عربي ، بل تكون الكلمة الاولى للكفاءة ، فاذا تساوت الكفاءة بين شخصين او تقاربت روعي في الاختيار تمثيل القطر المحروم بالنسبة الى غيره .

وينبغي ان تخصص لهذا المجمع موازنة قوية تساهم فيها الحكومات العربية كل قطر بنسبته ، ويجب ان يدفع الى الاعضاء تعويضات مالية كافية تربطهم بالمجمع وتمكنهم من التفرغ لاعماله والانتاج المثمر المستمر .

وقد يتساءل بعضهم عن عدد اعضاء هذا المجمع الذي سوف يتولى الاشراف على مختلف نواحي الثقافة العامة ، وعندي ان القيمة ليست للكمية ولكن للنوع ، ويكفي اذن ان يتألف المجمع العتيد من نحو خمسين عضواً ، ولهؤلاء ان يستعينوا بالخبراء اذا شاؤوا . والمهم في ذلك كله ان يكون الاختيار الاول موفقاً . وان يكون التعيين لمدى الحياة وهذا أدعى للاستقرار .

*

امام « المجمع العربي » اعمال كثيرة بعضها يتطلب أسراعاً وتنفيذاً . وفي مقدمة هذه الشؤون خمسة مشاريع رئيسية كبرى :

المعجم الحديث

اولا – وضع قاموسين حديثين (معجمين) للغة العربية ، يستوفيان جميع الشروط الفنية الحديثة ، احدهما موجز للطلبة في مرحلتي الدراسة الابتدائية والثانوية ، والثاني للدراسات العليا . أليس من المؤسف ان يشتري الطالب طبعة جديدة لقاموس « لاروس » الفرنسي تصدر كل عام حاوية على خلاصة الامور المستجدة ، بينما يعتمد في لغته العربيه على قاموس قديم باسلوبه حافل بالاخطاء ، ناقص في مادته ، لا يشرح الكلمة شرحاً علمياً وافياً ، وليس فيه أثر للصور والرسوم وتراجم الأعلام والبلدان ؟...

المصطلحات العلمية

ثانياً – وضع المصطلحات العلمية لكل فرع من فروع الدراسة ، فيتناول المجمع كل مادة ويضع لها مفرداتها الفنية الجديدة ويقر القديم الصالح منها ، وينشر نتائج اعماله على المؤلفين ليتقيدوا بها في وضع الكتب الجديدة للمدارس . وبديهي ان البطء في وضع هذه المصطلحات معناه البطء في وضع الكتب المدرسية الحديثة ، اي استمرار فوضى المصطلحات التي تتخبط فيها الاقطار العربية .

تتويج روائع العام

ثالثاً : – تتويج روائع العام في مختلف نواحي النشاط الثقافي باختيار احسن ما انتجته المطابع في العلوم الطبيعية ، واحسن قصة في ميدان الأدب ، وافضل كتاب في التاريخ وهلم جراً ، ومنح مؤلف الكتاب المفضل مكافأة مالية . وليست القيمة للجائزة ولكن اقرار لمجمع بفضل الكتاب ذو قيمة معنوية لا تقدر بثمن ، ففيه تنشيط عظيم للمؤلفين الناشئين الذين لايستطيعون شق

طريقهم واختراق الحواجز الادبية التي شيدتها دعايات الناشرين .

اصلاح الحروف العربية

رابعاً : في الاقطار العربية – لاسيما في مصر ولبنان – حملة شعواء على الحروف العربية يريد منظموها استبدالها بالحروف اللاتينية مدفوعين بعامل التقليد للاتراك ، وزاعمين ان حروفنا غير صالحة لانها متعددة الاشكال فالحرف يكتب بثلاث صور وفقاً وضعه من الكلمة ، والحركة لا تلازم الحرف دائماً في الطباعة والكتابة فيصعب على القارىء التمييز بين مثل ومُثل ومَثَل ومِثَل الخ . ويقول هؤلاء ان على القارىء العربي ان يفهم قبل ان يقرأ ، وليس كالقارىء الغربي الذي يقرأ ثم يفهم .

وأعجب ما في الامر ان يقوم احد اعضاء مجمع فؤاد الاول للغة العربية بالدعاية أو الدعاوة (!) لهذا التبديل ، وان تحبذه بعض الصحف المصرية .

وليس من شأننا هنا ان نفند هذا الرأي الهدام ، الذي يرمي اصحابه الى قطع الصلة بين حاضر العرب وماضيهم المجيد ، لان قبول الحروف اللاتينية معناه اهمال الالوف المؤلفة من الكتب العربية القيمة والمخطوطات ، اي القضاء على تراثنا الثقافي العظيم الذي لا تنعم بمثله امة من الامم . واذا قال انصار الحروف اللاتينية بانهم مصممون على اعادة طبع هذه الكتب باللاتينية ، قلنا لهم ان دار الكتب المصرية ومن ورائها المطبعة الاميرية ، لم تستطع حتى الان انجاز طبع كتاب « الاغاني » على الرغم من انها باشرته منذ خمسة عشر عاماً ، فكيف يتسنى لنا اذن اعادة طبع عشرات الالوف من كتب التاريخ والادب واللغة والدين والمعاجم والموسوعات وما اليها بالحروف اللاتينية ؟

وماذا يضيرهم ان تفقد المكتبة العربية هذا التراث ولعل هذا هو المقصود !.

وبديهي ان الحروف العربية اشبه شيء بالاختزال – ونحن في عصر

السرعة – ولم نسمع يوماً ان عربياً عجز عن فهم كتاب عربي لانه مطبوع بالحروف العربية ! اما الاجانب الذين يجدون في حروفنا بعض الصعوبة ، فلا اظن ان عاقلا يطلب من العرب تبديل حروفهم اكراماً لبعض المستعربين من الاجانب ! . .

على ان هذا لا يعني ان حروفنا العربية منزّلة مقدسة ، لا يجوز اصلاحها ، بل نحن نرى ضرورة ملحة في ان تتخلص المطابع من تعدد الاشكال للحرف العربي الواحد ، وان يتفق على شكل لحرف التاج أو الحرف الكبير . (Capital Letter, Lettre Majescule) نبدأ به الجمل واسماء الأعلام ، وان تبتكر طريقة عملية لتسهيل وضع الحركة عند الضرورة فوق الحرف ، وهذا كله يجب ان يتم تحت اشراف المجمع العربي ، ويجب ان يُشرع فيه منذ الآن .

الموسوعة العربية

خامساً – اذا ذكرت الموسوعة العربية فيجب ان يذكر معها دائماً اسم فخامة نوري باشا السعيد فهو يناضل منذ ربع قرن في سبيل تحقيقها عن طريق مساهمة الاقطار العربية فيها . وقد سبق لفخامته ان سافر مراراً الى القاهرة وتحدث الى رجالات مصر في هذا الشأن قبل ان تخرج فكرة التعاون العربي الى حيز الوجود .

وليس العرب بغرباء عن الموسوعات فقد ترك لنا اجدادنا موسوعات جليلة الشأن ، عظيمة القيمة والفائدة ، وما « معجم البلدان » « ومعجم الادباء » لياقوت « والاغاني » للاصبهاني ، وتاريخ الطبري « ولسان العرب » وغيرها من الاسفار القيمة الا موسوعات في الجغرافية والأدب والتاريخ واللغة .

على ان اول محاولة لتأليف دائرة معارف عربية عامة ترجع الى منتصف

القرن الماضي عندما شرع العلامة بطرس البستاني في وضع « دائرة المعارف » فظهر الجزء الاول منها عام ١٨٧٠ ثم صدرت بقية الاجزاء على التوالي الى ان حالت المنية دون اكمال هذا المشروع الجليل فعمّل نجل المعلم بطرس على وضع الاجزاء الناقصة .

ويجد الباحث في تاريخ الامم الشرقية والغربية ان وضع دوائر المعارف بدأ عند اليونان قبل الميلاد ، وان العشرين قرناً التي عقبت الميلاد حافلة بذكر دوائر المعارف التي وضعتها مختلف الامم ، على ان القرون الاربعة الاخيرة أغنى من سواها بانباء الحركات التي قام بها الافراد والجماعات — ولا سيما في انكلترا وفرنسا والمانيا — لوضع دوائر المعارف .

ولو اخذنا « دائرة المعارف البريطانية » مثالا على ذلك لوجدنا ان الطبعة الاولى صدرت عام ١٧٧١ وان الطبعة الحادية عشرة والاخيرة ظهرت عام ١٩١١ وان إعدادها استغرق ثمانية أعوام ، رغم وجود المواد منظمة مبوبة في الطبعة العاشرة ! ..

ولعل اكبر موسوعة في الدنيا هي الموسوعة الصينية التي امر بوضعها الامبراطور كانغ هي حوالي عام ١٧٠٠ بعد الميلاد وهي تتألف من ٥٠٢٠ مجلداً ، وتوجد نسخة منها في المتحف البريطاني جمعت في ٧٠٠ مجلد ضخم !.

*

ترى هل يستطيع مجمعنا العتيد الاضطلاع بهذا المشروع العظيم ؟ والى اي مدى يعتمد على الترجمة والى اي مدى يعتمد على الوضع والتأليف ؟ وكيف تستطيع موسوعتنا المنتظرة ان تكون مظهراً صحيحاً للعلم الحديث وهو يتقدم ويتطور عاماً بعد عام ان لم نقل شهراً بعد شهر ؟

هذه كلها قضايا يجب ان يبحثها المجمع ، ويجب ان يبت فيها ، ورأينا ان

رجال المجمع قد لا يقومون انفسهم بوضع الموسوعة العربية ولكنهم اولى الناس بالاشراف عليها وتنظيم الخطة التي تضمن تحقيق اعظم عمل ثقافي عربي في العصر الحديث .

*

واخيراً نرى لزاماً علينا ان نشير الى ان انشاء « المجمع العربي » لا يتعارض مطلقاً وجهود العلماء الحرة افراداً وجماعات بل لا ينبغي له ان يحول دون انشاء الجمعيات الحرة كالجمعية الجغرافية الملكية او الجمعية الزراعية في مصر ومختلف الرابطات الادبية والثقافية التي اسدت الى النهضة العربية خدمات ننظر اليها دائماً بفخر واعجاب .

المدارس والجامعات

يخيل الى القارىء اننا استنفدنا جميع نواحي التعاون بين المدارس والجامعات العربية ، في معرض حديثنا في الفصول السابقة عن المناهج وتحضير المعلمين والكتب وتبادل الاساتذة ، ولكن ثمة نواحي أخرى كثيرة لم نأت عليها وهي في نظرنا لا تقل اهمية وخطورة عن الاولى .

لقد تحدثنا مثلا عن المناهج واوجه التعاون فيها ، ولكننا لم نذكر شيئاً عن الاعمال اللامنهجية ، ذلك العنصر الفعال في تكوين شخصية الطالب ، المتمم للدروس التي يتلقاها التلميذ في الصفوف (الفصول) ويقصد بهذه الاعمال عادة شتى مظاهر النشاط في الرياضة والكشفية والتمثيل والخطابة والفنون الجميلة والجمعيات التعاونية والرحلات والحفلات الاجتماعية وما الى ذلك . فيحسن اذن ان تتعاون المدارس العربية في هذا الميدان ، عن طريق المؤتمرات تعقدها المدارس الابتدائية او الثانوية للرياضة أو للكشفية مثلا فتستفيد كل مؤسسة من خبرة المؤسسة الاخرى وتجاربها وتقتبس ما تستحسنه من نظمها ، وتوحد بعض المبادىء المشتركة ؛ وعن طريق الرحلات والزيارات في مختلف المواسم والمناسبات ، وعن طريق المكاتب الثقافية الدائمة في كل حاضرة من حواضر العرب .

وهذه ناحية ثانية يصح ان تتعاون فيها المدارس العربية وهي ناحية المباني والملاعب والتجهيزات المدرسية من اثاث ومعامل (مختبرات) . نحن في

دور تأسيس وانشاء ، وتحتاج الى فتح الوف المدارس الجديدة في الاقطار العربية النامية ، فلماذا لايستفيد كل قطر من خبرة القطر الآخر في وضع التصاميم للابنية المدرسية الصحية الحديثة ، ولا سيما بين الاقطار المتشابهة اقليما ؟ ان في مصر وسوريا ولبنان والعراق وفلسطين نماذج ممتازة من الابنية الفنية المدرسية ، بعضها تابع لابناء البلاد وبعضها للاجنبي ، ومن المستحسن ان تؤلف لجنة مشتركة من ذوي الاختصاص في التربية وفي فن البناء المدرسي الحديث تدرس هذه النماذج وتقارنها باحدث النماذج الاوربية والاميركية الحديثة ثم تضع تصاميم مختارة للابنية المدرسية الابتدائية والثانوية تستعين بها الحكومات العربية في بناء معاهدها الجديدة ، بدلا من اشادة ابنية قد لاتتوفر فيها شروط التهوية والاتساع والنور واسباب الوقاية الفنية .

ترى هل يتاح لنا ان نرى اليوم الذي يعرف الزائر فيه المدرسة في كل قرية عربية من تصميمها الفني الحديث ؟...

وما يصدق على المباني ، يصدق الى حد بعيد على المناضد والالواح السوداء (السبورة) ، فهذه جميعها خاضعة لشروط فنية صحية ، فلماذا لا ندرسها دراسة علمية ثم نعمم على الاقطار العربية نتائج ابحاثنا فلا نجد طالباً شوه المقعد قامته فحناها او أساءت جلسته الى بصره ؟

اننا اذ نطلب التعاون في هذه النواحي انما نطلب اموراً تكاد تكون بديهية في الغرب ، ولكنها ويا للأسف ما تزال مهملة في اكثر البلدان العربية ! ..

*

لقد زرت عدداً كبيراً من المدارس — على اختلاف انواعها — في مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، واستطيع ان اصرح دونما تحيز او مواربة ،

بان المعاهد المصرية الرسمية تأتي في الطليعة من حيث اخذها بالاساليب الحديثة في التربيـة والتعليم ، وسخاء الحكومة في الانفاق عليها لتتوفر فيهـا الشروط الفنية ، ويشمل قولي هذا المعاهد الابتدائية والثانوية والعليا ، العامة منهـا والفنية المهنية . لذلك ادعو الاقطار العربية ان تتعرف تماماً الى هذه المعاهد المصرية قبل البدء بانشاء مدارس جديدة او القيام باصلاح عام في مدارسهـا القديمة ، وهذا يتطلب ايفاد بعثات من الاختصاصيين في التربيـة والتعليم الى القطر المصري يطوفون بمعاهده ويدرسونها عن كثب ويعودون الى بلادهم مزودين بجميع الخطط والتصاميم والأساليب المتبعة في مصر .

نأخذ رياض الاطفال على سبيل المثال ، فقد اتيح لي زيارة رياض الاطفال في سوريا ولبنان — على ندرتها — وفي فلسطين ، وزرت روضة الاطفال في بغداد التي أسسها العلامة الحصري ، ولكنني لم أجد فيها كلها ما وجدته في رياض الاطفال في مصر ، ولا سيما روضة الاطفال في الحلمية بالقاهرة بادارة المربيـة سنية محمد علي المتخرجة من لندن : لن أتحدث اليك عن البنـاء واتساعه وحسن ترتيبه وتجهيزه ، ولا عن الملاعب وما تحتويه من أحدث ألاعيب الاطفال الفنية ، ولا عن الجنـائن التي يعنى بها الاطفال انفسهم ، ولا عن زريبـة الحيوانات الداجنة ، ولا عن قاعة الطعام النظيفة التي يديرهـا الصغار ، ولا السرر التي ينام فيهـا الاحداث وقت القيلولة ، ولا عن قاعات الاشغـال والألعاب اليدوية الحديثـة الفنية بآخر ما توصلت اليهـا اساليب الغرب (مونتسوري وديكرولي وغيرهما) ولكني محدثك عن الجمعيات التعاونية التي يديرها اطفال تتراوح أعمـارهم بين الرابعة والسابعة ، فقد أسسوا شركة تعاونية باشراف المعلمة وساهم كل طفل فيها مادياً ، وانشأوا في الروضة حانوتاً لبيع جميع ما يحتاج اليه الطفل ، فهم يشترون وهم يبيعون وهم يحسبون وهم

يربحون ويوزعون هذه الارباح على اعمال البر والاحسان !

واني لمحدثك عن « اوركسترا الاطفال » التي تضم آلات موسيقية متنوعة خاصة بالصغار والتي تعزف الالحان على « النوطة » — نوطة خاصة بالاطفال يفهمونها — فتجد نحو خمسين عازفاً طفلاً ، هذا على البيانو ، وذاك ينفخ بالمزمار أو يضرب بالصنج ، وامام كل عازف نوطته ، وعلى رأسهم طفل (المايسترو) يقود الجوقة بدقة واتزان ومهارة تدعو الى الاعجاب !

هذا هو الفردوس الذي يعيش فيه اطفال روضة الحلمية فما احرانا بان نعمم امثال هذه الرياض في الاقطار العربية !...

*

وهذا مثال آخر على ناحية تكاد مصر تنفرد فيها وهي ناحية التدبير المنزلي ، فقد زرت معهداً للبنات تديره عقيلة العلامة الدكتور منصور فهمي ، ورأيت فيه من العناية بتربية الطفل وادارة المنزل العملية ما لم أجده في أي معهد آخر في البلدان العربية . تخيل حجرة كبيرة جداً حوت عشرات المطابخ لكل فتاة مطبخها وآنيتها المستقلة الحديثة — وقد ارتدت التلميذات ملابس الطهي الخاصة ، واخذت كل واحدة منهن تعد الطعام اعداداً متقناً تحت اشراف الطاهية الكبرى (المعلمة) ، وتخيل حجرة اخرى فسيحة حوت الآلات الحديثة للغسيل والكي والفتيات منتشرات فيها يغسلن ويكوين بايديهن ، وقابل ذلك بمعاهدنا التي تعلم الطهي والغسيل والكي وسائر الشؤون المنزلية نظرياً في الكتاب !...

أليس في هذا كله ما يصح اقتباسه وتعميمه في الاقطار العربية ؟..

*

وان أنسَ فلن أنسى مدرسة الخطوط العربية — ذلك المعهد العربي الوحيد

الذي يقوم عليه كبار الخطاطين المصريين ويحافظون على فن كاد ينقرض في معظم الاقطار العربية !

وما ذكرناه عن رياض الاطفال ومعاهد البنات يصدق على المدارس الثانوية والزراعية والصناعية والتجارية ومعاهد الفنون الجميلة . فما اجدر البلدان العربية الشقيقة المصممة على احداث مدارس مهنية بالاستعانة بالنماذج المصرية في تحقيق مشاريعها الجديدة واصلاح معاهدها القديمة .

*

في الشرق العربي خمس جامعات عربية رسمية حكومية ، ثلاث في مصر — جامعة فؤاد الاول بالقاهرة وجامعة فاروق بالاسكندرية والجامعة الازهرية بالقاهرة — ورابعة في دمشق وخامسة في بغداد ، وليس في لبنان بلد النور والعلم جامعة لبنانية ويا للأسف ! وليس في الجامعة السورية سوى كلية للطب وأخرى للحقوق كما ان جامعة بغداد تقتصر على فرعي الطب والحقوق ودار المعلمين العالية .

وعندي ان التعاون بين الجامعات العربية يجب ان يتناول ناحيتين :

١ — تأسيس جامعة لبنانية في بيروت (اذا حسن ذلك لحكومة لبنان) وأخرى في القدس .

٢ — استكمال الفروع الناقصة في جامعتي دمشق وبغداد .

وتستطيع الجامعتان المصريتان اسداء خدمات كبيرة في هذا الميدان بايفاد الاساتذة الزائرين أو المنتدبين وتنظيم البعاثم وتحضير المناهج ، ومتى اصبح لكل قطر عربي جامعته الخاصة خف الضغط على الجامعة المصرية وسهل على الطالب العربي ارتياد مناهل العلم العالي والاختصاص في بلده .

ولا ريب في ان تحقيق هذا المشروع العظيم يجب ان تسبقه خطوات من

التعارف ومؤتمرات بين رجال الجامعات ، تدرس فيها هذه الشؤون وتوضع الاسس الصحيحة للتعاون المنشود .

هذا ولا بد لنا قبل ختام هذا الفصل من الاشارة الى حقيقة بديهية وهي ان الحكومة لا تملك السيادة الثقافية الكاملة في بلادها ما لم تسيطر على التعليم العالي الجامعي ولذلك فنحن ندعو الى انشاء جامعة لبنانية في بيروت !

المكتبات العامة

نحن في غنى عن بيان أثر المكتبات العامة في تنشيط النهضة الثقافية ولكننا نرى لزاماً علينا ان نضع بين يدي القارىء نبذة عن ناحية جديدة لمسناها في دور الكتب العامة الحديثة في جامعات الغرب ، وهي ان المكتبة الحديثة لم تعد قاصرة على خزائن عديدة للكتب والمخطوطات والنشرات الدورية والمجلات والصحف ، وقاعات للمطالعة وفهارس منظمة بالموجودات ، ولكنها تنهج نهجاً جديداً عجيباً له ابلغ الأثر في تسهيل مهمة روادها من المؤلفين والكتاب ، ذلك ان فهارسها لم تعد مبوبة وفقاً لاسماء المؤلفين او المواضع فحسب ، ولكنها تعد فهارس خاصة كاملة لكل موضوع من موضوعات الثقافة يحتوي على جميع المراجع والمصادر المتعلقة بهذا الموضوع من كتب قديمة أو حديثة أو مقالات نشرت عنه في مختلف الصحف والمجلات ، فلو تناولت موضوعاً كالمعري مثلاً لوجدت في ذلك الفهرس اسماء كتب المعري نفسه ، واسماء الكتب التي الفت عنه وارقام صفحات المجلات والنشرات الكبرى التي نشرت مقالات عنه . وليس يخفى ما توفره هذه الفهارس العجيبة من الوقت على المؤلفين والمطالعين ، وليس يخفى ايضاً ما يتطلبه وضع هذه الفهارس من جهود هائلة ومتابعة مستمرة دقيقة لما ينشر عن كل موضوع من كتب ومقالات !.

هذه هي المكتبة الحديثة العامة المثلى ، فهل نلمس أثر هذا التجديد في مكتباتنا العربية العامة في مختلف الاقطار العربية ؟ ام هي ما تزال مجموعات

للكتب ينقصها التنظيم الفني الحديث ؟

*

تستطيع المكتبات العربية العامة التعاون في النواحي التالية :

اولا : تنظيم الفهارس . يجتمع مندوبون عن دور الكتب الكبرى ويتشاورون في احدث الاساليب المتبعة ويستعرضون مثلا طريقة « ديوي » الاميركية القائمة على التبويب العشري او سواها ويتخذون نظاماً واحداً يعتمدونه في وضع الفهارس العامة .

ثانياً : تبادل النسخ المزدوجة او المكررة للكتب والمخطوطات .

ثالثاً : أخذ صور فوتوغرافية عن المخطوطات النادرة وتعميمها على جميع المكتبات العربية فيسهل على العلماء المؤلفين الرجوع اليها دون ان يتحملوا مشقة السفر للوصول الى المخطوطة الاصلية .

رابعاً : الاشتراك في التنقيب في مكاتب اوربا واميركا وفي المكتبات الخاصة عن المخطوطات العربية القديمة وشراؤها او استنساخها او تصويرها .

خامساً : ايفاد بعثة مشتركة الى مكتبات اوروبا واميركا لاقتباس الأساليب الجديدة في تنظيم دور الكتب العامة واداراتها . وتتحمل الحكومات العربية نصيبها من تكاليف البندين الرابع والخامس ، وهو ضئيل جداً بالنسبة الى الفائدة العلمية المنشودة . وليس من الضروري ان تتألف البعثة من اشخاص كثيرين بل يكتفى بايفاد اثنين او ثلاثة من الخبراء ومتى عادوا تولوا بانفسهم تنظيم المكاتب العربية العامة متنقلين بين العواصم العربية .

ولعل احدث مكتبة عربية من حيث البناء والتنظيم والتبويب ولا اقول من حيث الغنى هي مكتبة جامعة فؤاد الاول بالقاهرة فيستحسن — اذا تعذر الان تحقيق التعاون في النواحي الخمس الآنفة الذكر — ان توفد الحكومات العربية مندوبين عنها الى هذه المكتبة الحديثة للاطلاع على الاساليب المتبعة فيها .

التأليف والترجمة والنشر

لا شك في ان العرب – على الرغم من توثبهم للنهوض – ما يزالون مقصرين في نتاجهم العلمي والادبي والفني عن الغرب الذي اخذ باسباب النهضة الحديثة قبلهم بقرون . فقد كانوا الى مائة سنة خلت في شبه عزلة ثقافية عن اوروبا واميركا ، فلم يتح لهم الاطلاع على نواحي النشاط الغربي الا فيما ندر ؛ وان بوادر النهضة العربية الحديثة لمدينة الى حد بعيد الى الاتصال الثقافي مع الغرب ولا سيما عن طريق لبنان ومصر .

والامم في بدء نهضاتها تحتاج الى الترجمة اكثر من حاجتها الى التأليف ، حتى اذا ما المت الماماً كافياً بما توصلت اليه سائر الامم وتمثلت هذا اللقاح الجديد فاصبح جزءاً منها وصهرته فامتزج امتزاجاً كيماوياً صحيحاً بعناصر ثقافتها ، عكفت على التأليف فجاء انتاجها صورة لحضارتها الجديدة ، تبدو فيه شخصيتها وما فيها من عناصر الابداع والابتكار .

ولو رجعنا الى التاريخ لرأينا هذا العامل واضح الاثر في النهضة العلمية والادبية ايام العباسيين فقد كانت ترجمة كتب الاغريق سبباً قوياً من اسباب تلك النهضة الشاملة ، فلم يظهر الجاحظ والفارابي وابن سينا الا بعد ان مهد التراجمة السبيل بما نقلوه الى العربية من كتب ارسطو وافلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان .

وعندي ان تآليفنا العربية الحديثة لا يمكن لها ان تحتل مكانة عالمية في

ميادين العلوم والآداب والفنون ما لم تمهد السبيل لها بترجمة أحسن ما كتبه ويكتبه علماء الغرب ومفكروه من عيون المؤلفات في شتى النواحي ، وما لم يرافق هذه الترجمة نشاط علمي عملي من الطراز الاول في المختبرات والمعامل ونظرات شخصية الى الامور ، بعيدة عن التقليد ، تتجلى فيها العبقرية العربية . هل ينتظر ان يصدر عن عالم عربي اي كتاب في ظاهرة من ظواهر التقدم العلمي مثلا ، ما لم يقترن اطلاعه على العلوم بنشاط وبحوث جامعية في مختبرات كاملة التجهيز الحديث ؟

*

نحن ندعو الى الترجمة الآن كخطوة ممهدة للتأليف ، على ان دعوتنا هذه ليست عقبة تحول دون نشاط المؤلفين ولا مثبطة لعزائمهم ، فلهؤلاء ان يكتبوا الان ، وللزمن ان يحكم لهم او عليهم . نحن ندعو ايضاً الى النشر اكثر من دعوتنا الى التأليف ، لان المكتبة العربية الحديثة فقيرة في الاصول والمراجع ، فقيرة في الطبعات المتقنة من الكتب العربية القديمة ، فهناك مئات الكتب القيمة النافدة أو المشحونة بالاخطاء والمطبوعة على الورق الاصفر طبعاً رديئاً ، وهناك مئات المخطوطات العربية الثمينة التي لم يطلع عليها شبابنا بله علماءنا حتى الآن وهناك كتب عربية كثيرة طبعت في مطابع اوروبا ولم تنتشر في الشرق ، او طبعت في الهند او القسطنطينية ونفدت .

ولعل مقدمة ابن خلدون أحسن مثال نسوقه على هذه الفوضى في النشر ، فقد طالعت طبعات عديدة منها ، بعضها مصري وبعضها لبناني وبعضها اوربي ، وكلها بعيدة عن الضبط العلمي المنشود ، ولعل النسخة الاوربية منها أقرب الجميع الى التحقيق والصحة ! والله اعلم ...

نريد ان يعاد طبع كتبنا العربية القديمة على طريقة طبعة « الاغاني »

الانيقة التي تقوم بها دار الكتب المصرية في المطبعة الاميرية من حيث المقابلة بين النسخ والشرح والتعليق والاتقان في الطبع والاخراج!

*

نحن نعترف ان الافراد قاموا بخدمات جليلة في ناحيتي الترجمة والنشر ، ومن العدل ان نقر بفضل اولئك الاعلام الذين أفنوا زهرة شبابهم في ترجمة « الالياذة » و « الشاهنامة » و « دائرة المعارف الاسلامية » وكثير غيرها من عيون الكتب العلمية والادبية ، ومن العدل ان نسجل « للجنة التأليف والترجمة والنشر » التي يرئسها اليوم العلامة أحمد أمين مآثرها في نقل الروائع من كتب العلوم والآداب في الغرب . ومن العدل ايضاً والانصاف ان نسجل فضل دور النشر في الحواضر العربية لماقامت به مطابعها من أحياء لكتبنا العربية القديمة. ولكن هذه الجهود بمجموعها لم تكن كافية لمسايرة النهضة العالمية الجبارة .

لذلك ندعو الاقطار العربية الى التعاون في ميدان التأليف والترجمة والنشر بانشاء لجنة مشتركة تشرف على هـذه الناحية الخطيرة ، وتستند الى رأسمال قوي تساهم فيه الحكومات العربية ، وتنشأ لها فروعٌ في كل حاضرة عربية وتجهز دورها باحدث وسائل الطباعة المتقنة .

وتنحصر مهمة هذه اللجنة في الاشراف والاختيار والتوجيه ، وليس من شأنها ان يتولى اعضاؤها بانفسهم الاضطلاع بشؤون الترجمة والتأليف والنشر ولكنها تستعين على ذلك بالاعـلام من كل قطر عربي وبالخبراء الفنيين في شؤون الطباعة والنشر يعهد اليهم ادارة النـاحية المادية من العمل . واني ضمين بان مشروعاً عظيماً كهذا يدر على الحكومات العربية ارباحاً طائلة فضلا عن قيامه بأجل الخدمات للثقافة العربية .

وبديهي ان عملا مشتركاً من هذا النوع يقضي على ما يخشاه بعضهم من

طغيان ثقافي ومنافسة تجارية غير مشروعة بين الاقطار العربية ...

*

نعود الى تفصيل مهمة اللجنة في كل من النواحي الثلاث : الترجمة والنشر والتأليف . فاما الترجمة فقد كانت وما تزال ويا للأسف من عمل الهواة . يقرأ أديب كتاباً أجنبياً حديثاً فيعجبه فيترجمه او يدرس عالم اقتصادي او اجتماعي كتاباً فرنسياً في الاقتصاد او الاجتماع فينقله الى العربية في أوقات فراغه ، وقد يحتاج استاذ الى كتاب مدرسي للطبيعيات مثلا فيترجم احدث كتاب انكليزي او فرنسي في الموضوع تسهيلا لعمله في المدرسة . وقد تحتاج فرقة تمثيلية الى مأساة او مهزلة فتعهد الى كاتب معروف بنقل رواية اجنبية . وكثيراً ما يفضل الناشر ترجمة رواية بوليسية أو غرامية على أثر ادبي رائع !

مهمة اللجنة تنحصر في حسن الانتخاب والتوجيه ، وعليها ان تضع لائحة بما يجب ترجمته من الكتب الاجنبية القديمة الخالدة التي نقلت الى جميع لغات العالم ما عدا العربية ، وهي تعد بالمئات والالوف . ثم تحضر لائحة أخرى بما يحسن ترجمته من عيون الكتب الحديثة التي ظهرت في القرنين الاخيرين مراعية في عملها كل ناحية من نواحي الثقافة فلا يطغى الادب على العلم أو العلم على الفن . ثم تضع لائحة ثالثة بما كتبه المنصفون عن العرب من العلماء والمستشرقين . ويستحسن ان تضع لائحة رابعة سنوية باحسن الكتب الاجنبية التي صدرت خلال العام .

أليس مما يأسف له كل عربي مخلص انك تكاد لا تجد كتاباً من كتب الفلاسفة العصريين مترجماً الى العربية ؟ أليس من المؤلم ان يكون الرجوع الى التآليف الاجنبية القيمة قاصراً على الذين يتقنون اللغات الاجنبية ؟ ثم هذا

كتـاب « حضارة العرب » لغوستاف لوبون وفيه انصاف علمي نزيه للعرب ، واعتراف صريح بخدماتهم للمدنية ، وحتى الآن لم يقم أحد بترجمة هذا السفر النفيس الى اللغة العربية !... وامثال هذه الكتب كثيرة ومكتبتنا العربية خالية منها !.

وتعهد اللجنة الى كتّاب الاقطار العربية بنقل هذه الكتب تدريجياً ، كل حسب اختصاصه ، فلا يناط ترجمة كتاب في الاقتصاد السياسي مثلاً بشاعر كما حدث منذ سنوات عندما ترجم شاعر النيل المرحوم حافظ ابرهيم بالاشتراك مع استاذين كتاباً في الاقتصاد السياسي للمؤلف الفرنسي المعروف « لروا بوليو » ، وحافظ لا يعرف من الفرنسية اكثر مما يعرف عن الاقتصاد ! ولا تترجم روائع الادب بالواسطة ، كما جرى حين نقل المرحوم مصطفى المنفلوطي « غادة الكاميليا » مستعيناً بصديق يعرف الفرنسية !...

نريد ترجمات علمية صحيحة يقوم بها اشخاص ضليعون في اللغتين وفي المادة في وقت معاً حتى لا نسقط في الترجمة الرخيصة ، ومتى انجز الاعلام ترجمة ما عهد اليهم بنقله وحاز قبول اللجنة دفعت لهم مكافآت تتناسب ومقدار العمل وقيمته ، ثم سلمته الى المطابع تخرجه باتقان .

*

واما النشر فيتم باختيار الكتب والمراجع والاصول العربية القيمة في لوائح موزعة على مختلف العلوم والآداب والفنون ، ثم يشرف على وضع المقدمات والتعليق والتصحيح والشرح والمقارنة بين مختلف النسخ والطبعات والمخطوطات جماعة من الجامعيين المختصين في تلك الفروع ، فيكتسب الكتاب القديم قوة جديدة ، ويصدر في حلة قشيبة من الدقة والصحة والاتقان . ولدينا في ما اخرجته دار الكتب المصرية نماذج صالحة ممتازة يصح ان تحتذيها اللجنة في احياء تراثنا العربي المجيد .

واما التأليف – وهو في نظري المتواضع – أقل النواحي الثلاث اهمية ، فتستطيع اللجنة العتيدة تنشيطه باحدى طريقتين :

الاولى : تكليف اعلامنا النابغين التأليف في مواضيع خبروها وأصبحت لهم فيها مقدرة ممتازة او شهرة عالمية ، على شريطة ان تكون الأقطار العربية بحاجة اليها .

والثانية : دراسة ما يقدمه اليها المؤلفون من تآليف تختار منهـا الصالح وتتبناه وتطبعه على نفقتها .

ويشترط ان تكون اللجنة في كلتا الطريقتين صارمة في الاختيار شديدة في احكامها ، حتى تحافظ على المستوى العلمي العالي المنشود .

*

وختاماً نرى لزاماً علينا ان نشير بأن تحقيق هـذا المشروع الجليل لن يكون له ادنى أثر في الحد من نشاط المحاولات الفردية في التأليف والترجمة والنشر ، فالمجال أوسع من ان تحيط به جهود عشرات من اللجان المشتركة العربية في عشرات السنين !.

انتهى الجزء الاول

ويليه الجزء الثاني وموضوعاته : الرحلات ، التعاون الفني ، التعاون الرياضي ، المؤتمرات الثقافية ، المحاضرات ، التعاون الاثري ، ادارة التربية والتعليم وانظمتها ، المشاكل الثقافيـة الخاصة والمشتركة ، المكاتب الثقافية العامة .

ملحق رقم ١

بروتوكول الاسكندرية

ننشر فيما يلي الوثائق التي اذاعهـا مساء السبت ٧ تشرين الاول ١٩٤٣ بعد ارفضاض الجلسة الختامية للجنة التحضيرية ، صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس المباحثات وهي :

١ — بيان اللجنة

انتهت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام من اعمالهـا كما بدأتها في جو رائع من الثقة المتبـادلة والاخوة الصادقة والود الصميم والشعور بالمسؤوليـة المشتركة في هذه الظروف الخطيرة التي يتحول فيها مجري التاريخ ، تحدوهـا الرغبة الملحة في جمع شملها وتوحيد جهودها وتوجيهها الى مـا فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانيها وآمالها .

وقد كان من اعظم دواعي الغبطة والسرور ان ينضم الى اللجنة حضرة الاستاذ موسى العلمي العضو الممثل لعرب فلسطين لما لقضية هذا القطر العربي الشقيق من الخطورة البالغة والاهمية الكبرى عند العرب اجمعين .

وقد اتخذت اللجنة باجماع الوفود السورية والاردنية والعراقية واللبنانيـة والمصرية الكثير من القرارات الحيوية سواء من الناحية السياسية او من النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها . واثباتا لاتفاق هذه الوفود على القرارات المذكورة وقع رؤساؤها واعضاؤها البروتوكول المرافق لهذا البيان .

اما وفد المملكة العربية السعودية واليمن فقد ارجأ ابداء رأيها الى ما بعد عرض القرارات المذكورة على حضرة صاحبي الجلالة الملكين المعظمين عبدالعزيز آل سعود والامام يحي حميد الدين .

ويسر اللجنة ان تنتهز هذه الفرصة السعيدة التي هي بحق من اعظم الصفحات واجدها في تاريخ العرب فتزف الى البلاد العربية قاصيها ودانيها اطيب تهانيها واصدق امانيها وترفع الى حضرات اصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك الدول العربية ورؤسائها وامرائها العظام اسمى آيات ولائها وابلغ عبارات ثنائها موقنة ان اعمالها وآمالها والنتائج التي وصلت وستصل باذن الله اليها تحظى منهم باوفر اللطف وابلغ التشجيع والتأييد .

٢ — بروتوكول

الموقعون على هذا رؤساء الوفود العربية في اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام واعضاؤها .

اثباتاً للصلات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين البلاد العربية جمعاء وحرصاً على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانيها وآمالها .

واستجابة للرأي العربي العام في جميع الاقطار العربية .

وقد اجتمعوا في الاسكندرية بين يوم الاثنين ٨ شوال سنة ١٣٦٢ (الموافق ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤) ويوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣٦٢ (الموافق ٧ تشرين اول سنة ١٩٤٤) في هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي العام وتم الاتفاق بينهم على ما يأتي :

اولا — جامعة الدول العربية

تؤلف جامعة للدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام

اليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى « مجلس جامعة الدول العربية » تمثل فيه الدول المشتركة في الجامعة على قدم المساواة .

وتكون مهمتهم مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات وعقد اجتماعات دورية تتوثق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها .

وتكون قرارات هذا « المجلس » ملزمة لمن يقبلها فيما عدا الاحوال التي يقع فيها خلاف بين دولتين من اعضاء الجامعة ويلجأ فيها الطرفان الى المجلس لفحص هذا الخلاف . ففي هذه الاحوال تكون قرارات مجلس الجامعة نافذة ملزمة .

ولا يجوز على كل حال الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة ، ولكل دولة ان تعقد مع دول اخرى من دول الجامعة او غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الاحكام او روحها .

ولا يجوز باية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها .

ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها للتوفيق بينهما .

وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من اعضاء اللجنة التحضيرية لاعداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة » ولبحث المسائل السياسية التي يمكن ابرام اتفاقات فيها بين الدول العربية .

ثانياً — التعاون في الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها

(١) تتعاون الدول العربية الممثلة في اللجنة تعاوناً وثيقاً في الشؤون الآتية .

١ – الشؤون الاقتصادية والمالية بما في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وامور الزراعة والصناعة .

٢ – شؤون المواصلات بما في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

٣ – شؤون الثقافة

٤ – شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين وما الى ذلك

٥ – الشؤون الاجتماعية .

٦ – الشؤون الصحية .

(ب) تؤلف لجنة فرعية من الخبراء لكل طائفة من هذه الشؤون تمثل فيها الحكومات المشتركة في اللجنة التحضيرية وتكون مهمتها اعداد مشروع بقواعد التعاون في الشؤون المذكورة ومداه وادارته .

(ج) تؤلف لجنة للتنسيق والتحرير تكون مهمتها مراقبة عمل اللجان الفرعية الاخرى وتنسيق ما يتم من اعمالها اولا فاولا وصياغة مشروعات اتفاقات وعرضها على الحكومات المختلفة .

(د) عندما تنتهي جميع اللجان الفرعية من اعمالها تجتمع اللجنة التحضيرية وتعرض عليها نتائج بحث هذه اللجان تمهيداً لعقد المؤتمر العربي العام .

ثالثاً – ندعيم هذه الروابط في المستقبل

مع الاغتباط بهذه الخطوة المباركة ترجو اللجنة ان توفق البلاد العربية في المستقبل لتدعيمها بخطوات اخرى وبخاصة اذا اسفرت الاوضاع العالمية بعد الحرب القائمة عن نظم تربط بين الدول بروابط امتن واوثق .

رابعاً ـ قرار خاص بلبنان

تؤيد الدول العربية الممثلة في اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده الحاضرة وهو ما سبق لحكومات هذه الدول ان اعترفت به بعد ان انتهج سياسة استقلالية اعلنتها حكومته في بيانها الوزاري الذي نالت عليه موافقة المجلس النيابي اللبناني بالاجماع في ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٣ .

خامساً ـ قرار خاص بفلسطين

١ ـ ترى اللجنة ان فلسطين ركن مهم من اركان البلاد العربية . وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي .

كما ترى اللجنة ان التعهدات التي ارتبطت بها الدول البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الاراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي من حقوق العرب الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ونحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار .

وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق امانيهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة .

وتصرح اللجنة بانها ليست اقل تألماً من احد لما اصاب اليهود في اوروبا من الويلات والآلام على يد بعض الدول الاوروبية الدكتاتورية ، ولكن يجب الا يخلط بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونية اذ ليس اشد ظلماً وعدواناً من ان تحل مسألة يهود اوروبا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم .

ب ـ يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في « صندوق الامة العربية » لانقاذ اراضي العرب بفلسطين الى لجنة الشؤون

الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقبل .

واثباتاً لما تقدم وقع هذا البروتوكول بادارة جامعة فاروق الاول بالاسكندرية في يوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣٦٣ (الموافق ٧ تشرين الاول سنة ١٩٤٤)

٣ — كلمة الختام

يا ابناء العروبة الاعزاء .

هذا بيان اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام وتلك نتائج اعمالها وهي كما ترون في وضوح عباراتها وصراحة مدلولاتها وجلال مراميها لا تحتاج الى تعقيب او تعليق والله المسؤول ان يوفق القصد ويلهم المسعى وينيل الرجاء المأمول .

ملحق رقم ٢

قانون المعارف السوري

قانون رقم ١٢١

تاريخ ٢١ كانون الاول سنة ١٩٤٤

يتضمن نظام المعارف العام

اقر مجلس النواب ونشر رئيس الجمهورية القانون الآتي :

الفصل الاول

واجبات وزارة المعارف

المادة الاولى — ان مهمة وزارة المعارف الأساسية هي تربية الجيل الجديد تربية صالحة — من الوجوه البدنية والخلقية والفكرية — لينشأ كل فرد من افراده قوي البدن حسن الخلق وصحيح التفكير محباً لوطنه معتزاً بقوميته مدركاً لواجباته ومزوداً بالمعلومات التي يحتاج اليها في حياته قادراً على خدمة بلاده بقواه العقلية والبدنية وبجهوده الانتاجية .

المادة ٢ — على وزارة المعارف ان تقوم بالاعمال التالية لاداء المهمة الاساسية المذكورة في المادة السابقة :

آ — تأسيس وادارة المعاهد التعليمية الرسمية على اختلاف انواعها ودرجاتها

ب — مراقبة المعاهد التعليمية الاهلية والاجنبية وتوجيه اعمالها نحو الاهداف الاساسية المقررة للمدارس الرسمية .

ج – مكافحة الأمية ونشر الثقافة العامة بين جميع افراد الامة في جميع نواحي البلاد .

د – تربيد نشاط الشباب وتنظيم شؤونه بتشجيع الحركات الرياضية والاعمال الكشفية على اختلاف انواعها في المدارس وخارجها .

هـ – تنشيط الحركات العلمية والادبية بتكثير وتوسيع المكتبات العامة وتأسيس وتنظيم المتاحف العلمية وطبع ونشر الكتب والمؤلفات القديمة والحديثة وتنظيم الاذاعات والمحاضرات العامة واقامة المهرجانات التذكارية وتأسيس وتشجيع المجامع والجمعيات والنوادي العلمية والادبية ومساعدة الجهود التي قد يبذلها الافراد والجمعيات في خدمة العلوم والآداب .

و – العناية بالتربية الاقتصادية عن طريق تقوية نزعة العمل ورغبة الانتاج في نفوس الطلاب والشبان .

ز – الاهتمام بالفنون الجميلة – في المدارس وخارجها – وتشجيع حركات التمثيل والموسيقى والنحت والتصوير .

ح – العناية بشؤون الآثار القديمة وذلك بصيانة المباني القديمة والتنقيب في المواقع الاثرية وجمع الآثار المنقولة وعرضها في المتاحف الوطنية واحضار النشرات اللازمة لجعلها آلة علم وثقافة في داخل البلاد ، ووسيلة دعاية في خارجها .

تقوية الصلات الثقافية بين سوريا وشقيقاتها بغية تكوين ثقافة موحدة في جميع البلاد العربية .

المادة ٣ – ان تشكيلات وزارة المعارف وواجبات دوائرها المختلفة تقرر بمرسوم تنظيمي يصدر بناء على اقتراح الوزارة المشار اليها وقرار مجلس الوزراء .

الفصل الثـاني

معـاهد التعليم

تعريفات واحكام عامة

المادة الرابعة – يقسم التعليم الى ثلاث مراتب : الابتدائي ، الثـانوي ، العالي ، وتقسم معاهد التعليم الى ثلاث درجات بحسب المراتب التي ترمي اليها : المدارس الابتدائية ، المدارس الثانوية ، والمدارس العالية .

يسبق معاهد التعليم الابتدائي ، معاهد تربيوية خاصة بالاطفـال الذين لم يبلغوا بعد سن الدراسة الابتـدائية ويضاف الى معـاهد التعليم الابتدائي ، معاهد تعليم خاصة بالراشدين الذين تجاوزا سن الدراسة المذكورة .

المادة ٥ – تقسم المدارس الى نوعين اساسيين بالنظر الى غايتها : مدارس الثقافة العامة والمدارس الاختصاصية .

مدارس الثقافة العامة : هي التي ترمي الى تعليم العلوم ونشر الثقافة بوجه عام . واما المدارس الاختصاصية ، فهي التي ترمي الى تعليم بعض المهن بوجه خاص ممثل الزراعة والصناعة والتجارة والفنون الجميلة .

٦ – تقسم المدارس الى ثلاثة انواع بالنظر الى كيفية تأسيسها وادارتها : الرسمية ، الاهلية ، الاجنبية .

آ – المدارس الرسمية ، هي التي تؤسس وتدار من قبل السلطات الحكومية

ب – المدارس الاهلية ، هي التي تؤسس وتدار من قبل الافراد والجماعات الوطنية .

ج – المدارس الاجنبية ، هي التي تؤسس وتـدار من قبل الافراد او الجمعيات الاجنبية .

المادة ٧ – محظور على جميع المعلمين ، ان يقدموا على تدريسات وتلقينات :

آ – تؤدي الى فساد الاخلاق .

ب – توجب التفرقة والشقاق .

ج – تمس كرامة الشعب السوري والامة العربية .

د – تجعل التربية والتعليم وسيلة للدعايات السياسية والحزبية .

الفصل الثالث

تربية الصغار

المادة ٨ – لوزارة المعارف ان تؤسس رياض اطفال او دور حضانة لاجل تربية الاطفال الصغار الذين أتموا السنة الثالثة من عمرهم ولم يتجاوزوا السادسة

المادة ٩ – تعتبر رياض الاطفال ودو الحضانة كمعاهد تربية مستقلة عن المدارس ، مع هذا يجوز الحاقها بمدارس البنات عند الضرورة .

المادة ١٠ – ان نظام رياض الاطفال ومنهج اعمالها وشروط القبول فيها يعين برسوم .

الفصل الرابع

التعليم الابتدائي

المادة ١١ – ان مدة الدراسة الطبيعية في المدارس الابتدائية خمس سنوات ، دروس السنوات الاربع منها تكون حلقة تامة ودروس السنة الاخيرة تعتبر متممة لها ، والمدارس التي تتألف من الحلقة المذكورة وحدها تسمى « المدارس الاولية » .

المادة ١٢ – لا يقبل في المدارس الابتدائية والاولية التلاميذ الذين لم يكملوا السادسة من العمر في اول شهر تشرين الاول من السنة .

المادة ١٣ – ان التعليم في المدارس الابتدائية والاولية الرسمية مجاني .

المادة ١٤ – ان التعليم الاولي الزامي مبدئياً لجميع السوريين من بنين

وبنات ويطبق هذا الالزام فعلاً في الاماكن التي تعلنها وزارة المعارف عندما تتوفر لديها الوسائل الضرورية لذلك .

ان الغرامات والعقوبات التي تفرض على اولياء الاطفال الذين يمتنعون عن ارسال اولادهم الى المدرسة تقرر بقانون خاص .

المادة ١٥ — يوضع للمدارس الابتدائية والاولية منهاج اساسي موحد على أن يكيف هذا المنهاج حسب حاجات البنين والبنات من جهة وحاجات المدن والارياف من جهة اخرى .

المادة ١٦ — تعطى في نهاية دروس المدرسة الاولية (مصدقة) يوقعها مدير المعارف واما شهادة الدراسة الابتدائية ، فتعطى من قبل وزارة المعارف بعد الامتحانات العامة التي تجري لهذا الغرض .

المادة ١٧ — ان انواع الدروس التي تدرس في المدارس الاولية والابتدائية ، وكيفية ادارة هذه المدارس وطريقة اجراء امتحاناتها تقرر ببراسيم تنظيمية خاصة .

المادة ١٨ — لاتدرس في المدارس الابتدائية لغة اجنبية ، مع هذا يسوغ لوزارة المعارف أن تلحق ببعض المدارس الابتدائية في المدن الكبيرة التي تكثر فيها المعاملات التجارية صفاً اكمالياً تدرس فيه لغة اجنبية والاصول الحسابية لمن يرغب من الاطفال الذين لا يدخلون المدارس الثانوية بعد انتهائهم من الدراسة الابتدائية .

المادة ١٩ — لوزارة المعارف أن تفتح صفوفاً ودروساً مسائية خاصة بالراشدين الذين تجاوزوا سن التحصيل الابتدائي بقصد مكافحة الامية ونشر التعليم بين جميع طبقات الشعب .

الفصل الخامس

التعليم الثانوي

المادة ٢٠ – ان مدة الدراسة الطبيعية في المدارس الثانوية ست سنوات وتقسم الى دورتين . تتألف الاولى من اربع سنوات والثانية من سنتين .

ان دراسة الدورة الاولى تسمى (بالدراسة المتوسطة) ودراسة الدورة الثانية تسمى (بالدراسة الاعدادية) تقسم ـ الدراسة خلال الدورة الاخيرة – الى فرعي العلوم والآداب لاعداد الطلاب الى الفروع العلمية أو الفروع الادبية من الدراسات العالية .

المادة ٢١ – ان المدارس التي تتألف من الصفوف الاربعة الاولى من الدراسة الثانوية تسمى بـ (المدارس المتوسطة) .

لوزارة المعارف ان تضيف الى المدارس المتوسطة صفوفاً تجارية او زراعية او صناعية وفقاً للحاجات المحلية .

المادة ٢٢ – لا يقبل في المدارس المتوسطة الا من كان ناجحاً في الامتحانات العامة للدراسة الابتدائية او من كان حاملا شهادة معادلة لذلك معطاة من معاهد تعليمية واقعة خارج سورية .

ولا يقبل في الصفوف الاعدادية من المدارس الثانوية الا من كان ناجحاً في الامتحانات العامة للدراسة المتوسطة او للدراسة الاكمالية العامة او من كان حاملا شهادة معادلة لذلك مستحصلة من معاهد تعليمية واقعة خارج سورية نتيجة دراسة تمت فيها .

المادة ٢٣ – ان شهادات اتمام الدراسة المتوسطة والدراسة الثانوية تعطى من قبل وزارة المعارف بعد الامتحانات العامة التي تجري لهذا الغرض .

المادة ٢٤ – ان تعليم لغة اجنبية اجباري في جميع صفوف المدارس

المتوسطة والاعدادية .

كما ان تعلم لغة اجنبية ثانية اجباري في الصفوف الاعدادية من المدارس الثانوية .

المادة ٢٥ — ان انواع الدروس التي تدرس في المدارس المتوسطة والثانوية وكيفية ادارة هذه المدارس واصول اجراء امتحاناتها تقرر بمراسيم تنظيمية خاصة .

الفصل السادس

التعليم العالي

المادة ٢٦ — ان معاهد التعليم العالي هي الجامعة مع كلياتها المختلفة ودار المعلمين العالية مع فروعها المختلفة وسائر المدارس الاختصاصية العالية .

المادة ٢٧ — لا يقبل في معاهد التعليم العالي الا من نجح في الامتحان العام للدراسة الثانوية ونال شهادتها او من حمل شهادة معادلة لشهادة الدراسة الثانوية السورية حاز عليها بعد دراسة في معاهد تعليمية واقعة خارج سورية .

ان تقرير معادلة الشهادات التي تجاز من خارج سورية يعود الى وزارة المعارف . وللوزارة ان تفرض على حاملي هذه الشهادات امتحاناً في موضوع او اكثر من منهج الدراسة الثانوية السورية متى وجدت انهم لم يدرسوا الموضوعات المذكورة .

المادة ٢٨ — يقبل للمدارس العالية المختصة بمهنة معينة من كان متخرجاً من مدرسة مسلكية تعتبر الدراسة فيها موازية للدراسة الثانوية .

ان تقدير الموازاة يعود الى وزارة المعارف .

المادة ٢٩ — ان نظام الجامعة الاساسي يقرر بقانون ، واما برامج الدروس وكيفية الادارة وشروط القبول والامتحان فيها فتقرر بموجب انظمة

خاصة . لوزارة المعارف ان تؤسس معاهد ومدارس عالية – مستقلة عن الجامعة – اذا رأت لزوماً الى ذلك .

ان انظمة هذه المعاهد تقرر بمراسيم خاصة .

الفصل السابع
التعليم المسلكي والفني

المادة ٣٠ – على وزارة المعارف ان تفتح صفوفاً او مدارس ومعاهد مسلكية لاعداد الشبان او الشابات الى المهن المختلفة – من تجارية وزراعية وصناعية – والى الفنون البيتية المتنوعة .

المادة ٣١ – تكون الدراسات المسلكية من درجات متفاوتة فمنها ما يكون بمثابة اكمال للدراسة الابتدائية ومنها ما يكون بدرجة عالية .

المادة ٣٢ – ان مناهج الدراسة للصفوف والمدارس والمعاهد المذكورة في المادتين السابقتين وشروط القبول فيها وكيفية ادارتها وطريقة امتحاناتها تقرر بمراسيم تنظيمية خاصة .

الفصل الثامن
دور المعلمين والمعلمات

المادة ٣٣ – تؤسس دور المعلمين والمعلمات لتخريج موظفي التعليم الذين تحتاج اليهم المدارس على اختلاف انواعها .

دار المعلمين الاولية ، لتخريج المعلمين والمعلمات للمدارس الاولية والريفية . دار المعلمين الابتدائية لتخريج المعلمين والمعلمات للمدارس الابتدائية ودار المعلمين العالية لتخريج المعلمين والمعلمات للمدارس المتوسطة .

المادة ٣٤ – ان نظام تأسيس دور المعلمين على اختلاف أنواعها وشروط

القبول ومدة الدراسة فيها ومناهج تدريسها وكيفية ادارتها واصول اجراء امتحاناتها واعطاء شهادتها تقرر بمراسيم تنظيمية .

المادة ٣٥ — لوزارة المعارف ان تحدث صفوفاً اضافية او دورات خاصة ملحقة بدور المعلمين والمعلمات او فوق المدارس المهنية لاعداد معلمين ومعلمات ذوي اختصاص في بعض فروع الدراسة التي تحتاج الى تمرين خاص كالرسم والرياضة البدنية والاشغال اليدوية والفنون البيتية .

ولها ان تؤسس فروعاً خاصة ملحقة بدور المعلمين والمعلمات لاجل الوصول الى احدى هذه الغايات ولو بصورة موقتة .

ان انظمة هذه الصفوف او الدورات او الفروع تقرر بمراسيم خاصة .

الفصل التاسع
المعلمون والمعلمات

المادة ٣٦ — لا يعين للتعليم في المدارس الابتدائية والاولية الا من تخرج من دور المعلمين ، ويجوز عند مسيس الحاجة استخدام خريجي المدارس المتوسطة في التعليم الاولي وخريجي المدارس الثانوية في التعليم الابتدائي على ان يبقوا بصفة متمرنين وان لا يؤصلوا في التعليم ما لم يجتازوا دورة تعليمية في فن التربية واصول التدريس ويؤدوا امتحاناً نظرياً وعملياً وفوق نظام يوضع لهذا الغرض .

المادة ٣٧ — لا يعين للتدريس في المدارس المتوسطة والثانوية الا من تخرج من دور المعلمين العليا او من معاهد عالية اخرى يتخصص فيها الطلاب في احد الفروع التي تدرس في المدارس الثانوية .

واذا مست الحاجة الى استخدام من لم يبلغ هذه الدرجة من الدراسة

العالية فتعتبر وظيفته موقتة ويستغنى عنه عند زوال الحاجة الى استخدامه .

المادة ٣٨ – لا يعين للتدريس في المدارس والمعاهد العالية الا من تخصص في فرع من فروع العلوم بعد اتمام الدراسات العالية ونيل شهادة الدكتوراه .

المادة ٣٩ – يجوز استخدام بعض الفنيين بصفة معلم او معلمة لتعليم بعض المواضيع التي تحتاج الى تمرين خاص كالرياضة البدنية والاشغال اليدوية والموسيقي والرسم والاشغال الصناعية والفنون البيتية على شرط ان يبرهنوا على اختصاصهم وبراعتهم في تلك المواضيع بالامتحان بقطع النظر عن درجات تحصيلهم في المواضيع الاخرى .

المادة ٤٠ – ان مراتب المعلمين ودرجاتهم واصول تعيينهم وترفيعهم يعين بالملاك الخاص الذي يوضع وفقاً لاحكام قانون الموظفين .

الفصل العاشر

المدارس الاهلية والاجنبية

المادة ٤١ – ان تأسيس المدارس والمعاهد التعليمية الخاصة – اهلية كانت ام اجنبية – يتوقف على استحصال رخصة خطية من وزارة المعارف مهما كان نوعها او درجتها العلمية .

المادة ٤٢ – ان جميع المدارس والمعاهد التعليمية الاهلية والاجنبية تابعة الى مراقبة وزارة المعارف من جميع الوجوه الصحية والتعليمية والاخلاقية .

المادة ٤٣ – ان الصفوف التي تفتح من قبل الافراد او الجماعات لتعليم فن واحد او اكثر او لتدريس بعض اللغات او لتعليم بعض الفنون والصناعات تعتبر من المعاهد التعليمية الخاصة وتتبع شروط الرخصة وتخضع للمراقبة .

المادة ٤٤ – لا يجوز للمدارس الاهلية ان تقبل اعانات من مصادر اجنبية

الا تحت علم وزارة المعارف وبموافقتها .

المادة ٤٥ – ان تدريس اللغة العربية وتاريخ العرب وجغرافية البلاد العربية حسب منهج وزارة المعارف اجباري في جميع المدارس الخاصة الابتدائية والثانوية ويجب ان لا تقل دروس اللغة العربية عن خمس ساعات اسبوعية في الصفوف الابتدائية وعن ثلاث ساعات في صفوف المدارس الثانوية .

المادة ٤٦ – ان الامتحانات العامة للدراسات الابتدائية والمتوسطة والاعدادية تشمل جميع المدارس رسمية كانت او خاصة . فلا تعتبر الشهادات التي تعطى من قبل المدارس الخاصة عن اتمام الدراسة فيها ما لم يشترك طلابها في الامتحانات العامة التي تجريها وزارة المعارف وينجحوا فيها .

المادة ٤٧ – ان نظام المدارس الاهلية والاجنبية وشروط تأسيسها وكيفية تفتيشها وواجبات المسؤولين عنها تعين بمرسوم تنظيمي خاص .

المادة ٤٨ – تعتبر الكتاتيب القديمة بمثابة مدارس اهلية غير منظمة وتطبق بشأنها احكام المدارس الاهلية من حيث الاساس . ومع هذا يوضع نظام خاص لها يكفل اصلاح احوالها ويؤمن زيادة استفادة البلاد منها .

الفصل الحادي عشر

احكام متفرقة

المادة ٥٠ – ان النظام الذي يتضمن الاسس والمبادىء التي يجب السير عليها لتقرير معادلة الشهادات على اختلاف انواعها يعين بمرسوم يصدر بناء على اقتراح وزارة المعارف وقرار مجلس الوزراء .

المادة ٥١ – ان النظام الذي يعين كيفية تأسيس دور الكتب العامة واداراتها في جميع انحاء سورية يقرر بمرسوم .

المادة ٥٢ – ان نظام ايفاد البعثات العلمية للدراسة في خارج سورية يعين بمرسوم .

المادة ٥٣ – ان نظام ادارة الآثار القديمة وكيفية تأسيس المتاحف يقرر بمرسوم .

المادة ٥٤ – ان مساعدة وزارة المعارف الى الحركات الرياضية والكشفية والادبية والعلمية تقرر بمراسيم تنظيمية خاصة .

المادة ٥٥ – تلغى بهذا القانون احكام القانون المؤرخ في ٦ تموز عام ٩٣٣ المتضمن تعيين درجات التعليم وكل ماجاء مخالفاً لاحكامه في القوانين والمراسيم الاشتراعية الاخرى .

المادة ٥٦ – ان القوانين التالية تبقى مرعية الاجراء الى حين تعديلها باستثناء احكامها المخالفة لنصوص هذا القانون .

آ – القرار رقم ١٦٦ / ل . ر المتضمن نظام الآثار القديمة المؤرخ في ٧ تشرين الثاني ٩٣٣

ب – القرر رقم ٢٨٣ المؤرخ في ١٥ / ٣ / ٩٢٦ المتضمن النظام الاساسي للجامعة .

ج – المرسوم الاشتراعي رقم ١١٠ / س المؤرخ في ١٦ / ٣ / ٩٤٣ المتضمن النظام الاساسي للمجمع العلمي .

واما سائر القانون والمراسيم الاشتراعية المتعلقة بالمدارس وبالمعلمين وبالآثار فتعتبر بمثابة مراسيم عادية يجوز تعديلها بمراسيم تصدر بناء على اقتراح وزارة المعارف وقرار مجلس الوزراء .

المادة ٥٧ – ينفذ هذا القانون من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية على ان يستمر طلاب الصفين الاخيرين الحاليين فقط من المدارس الثانوية على

دراستهم حسب الترتيب السابق من حيث عدد السنين السبع .

المادة ٥٨ — على وزير المعارف تنفيذ هذا القانون .

دمشق في ٦ المحرم ١٣٦٤ و ٢١ كانون الاول ١٩٤٤

شكري القوتلي

صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء : فارس الخوري

وزير الداخلية والمعارف
فارس الخوري

وزير الخارجية والدفاع والاقتصاد
جميل مردم بك

وزير العدلية والاشغال العامة
عبد الرحمن الكيالي

وزير المالية والاعاشة والتموين
خالد العظم

انتهى طبع هذا الكتاب على

مطابع الكشاف

في ٧ شباط سنة ١٩٤٥

DATE DUE

370.1:M39tA:c.1
المنعوفي، عبيد الله
التعاون الثقافي بين الاقطار العربية ال
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01021358

American University of Beirut

370.1
M39tA

General Library